دعوه ذي النون

196

مسئله سئلها الشيخ الامام شيخ الاسلام العالم العلامه المحدث الكامل
الحافظ العابد الزاهد الورع وارث الانبياء برهان المتكلمين ذوي العلوم
الرفيعه والفنون البديعه ركن المشتغلين ابي العباس احمد بن الامام
شهاب الدين عبد الحليم بن الشيخ الامام مجد الدين ابي البركات عبد السلام
بن عبد الله بن ابي القسم بن محمد بن تيميه الحراني رحمه الله ورضي عنه
عن قول النبي صلى الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربه

بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله عدة للقايه ذخيرة ليوم العرض

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام بقية السلف الكرام محي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله ورضي عنه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربه ما معنى هذه الدعوة ولو كانت موجبة لكشف الكرب وهل في قول العبد لها شروط توجب تذكر الاجابة عند لفظها وقول العبد لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كيف ينزل معه في اعتقاد معنى النفي والاثبات هنا كي يتحقق معناه المقصود فيتحقق لها فوق معناه اعتقاده فيوجب كشف ضره وما مناسبته ذكره اني كنت من الظالمين مع التوحيد لاول وهل الاعتراف بالخطيئة مجردة مع التوحيد المذكور موجب لعفوها وكشف الكربة الصادر عنها ام يحتاج الى سبب اخر وهل اعتراف بذنب المعين يوجب كشف كربته نزلت بذنوب عديدة او يجب اجتنابها الى ذلك الذنب المعين يوجب كشف جلد الله وايلاوه لمزيد هذه جمله ام لا لك في قول هذه الكلمة من استحضار جميع الذنوب المتقدمة على زمان الكربة والفور به منها وهل تجرد الاعتراف كاف بدون التوبة في المستقبل والعزم عليها وافال الله تعالى على العبد باني عند انقطاع القلب عن الرجاء والتعلق بالمخلوقين والتصلي بهم وما الحيلة وانصراف القلب اليه بالكلية وما المعين على ذلك واحاب رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسئلة قال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه وقال ومن يدع مع الله الها اخر لا اله الا هو وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم شيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وقال في اخر السورة قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم وقيل



لولا دعاؤكم اياه وقيل لولا دعاؤه اياكم فان المصدر يضاف الى الفاعل تارة والى المفعول تارة ولكن اضافته الى الفاعل اقوى لانه لا بد له من فاعل فلهذا كان هذا اقوى لقوله اي ما يعبأ بكم لولا انكم تدعونه فتعبدونه وتسألونه فقد كذبتم فسوف يكون لزاما عذاب لازم للمكذبين

**ولفظ الصلوة** في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلوة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العباده والمسئله وقد فسر قوله تعالى ادعوني استجب لكم بالوجهين وقال ادعوني وامتثلوا امري استجب لكم كما قال وتستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب لهم وهو معروف في اللغه يقال استجابه واستحاب له كما قال الناظم

وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقيل سلوني اعطيكم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل ربنا كل ليله الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له فذكر اولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام قال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وكل سائل راغب راهب وهو عابد للمسؤل وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الاخر عند تجرده عنه ولكن اذا اجتمعا بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعه ودفع المضره بصيغة السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغة سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ولا يتصور ان يخلو داع لله دعا عباده او دعا مسئله من الرغب والرهب

من الخوف والطمع ومما ينكر عن بعض الشيوخ انه جعل الخوف والرجا
من مقامات العامة فهذا فلم يفسر مراده بان المقربين يريدون
يتلذذون به وهو لا يرجون حصول هذا المطلوب والخائفون يرجائه
فلم يخلوا عن الخوف والرجا لكن مرجوهم ومخوفهم نجب مطلوبهم ومن
قال من هؤلاء لو اعبدك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك فهو يظن
ان الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات والنار اسم لما لا عذاب فيه الا
اعده الله لاوليائه فهو في الجنة والنظر اليه هو في الجنة وهذا اكمل ما
افضل الخلق سأل الله الجنة ونستعيذ به من النار وقد سأل بعض اصحابه
عن ما يقول في صلاته قال اني اسأل الله الجنة واعوذ به من النار واما اني
لا احسن دندنتك ولا دندنته معاذ فقال حولها ندندن وقد انكر على
من علي من قال هذا الكلام فريق من اهل الكلام وقالوا نعبد الله
لكنا لا نعبده لا لمخلوق فغلط هؤلاء في معنى الجنة كما غلط اولئك
بالنار فهو امر مشروع ومن قال لو ادخلني النار لكنت راضيا فهو
عزم منه على الرضا والعزائم قد تفسخ عند وجود الحقائق ومثل هذا
يقع في كلام الله طائفة منهم الذي قال سمنون والشرك في سواك خفي
فكيف ما شئت فامتحني فاني لست بصبر البول فجعل يطوف
على صبيان المكاتب ويقول ادعوا لعجوز الكذاب قال تعالى ولقد كنتم
تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وبعض من تكلم
في علل المقامات جعل الحب والرضى والخوف والرجا من مقامات العامة
بناء على مشاهدة القدر وان من نظر الى القدر شهد توحيد الافعال
حتى فني من لم يكن وبقي من لم يزل فخرج عن هذه الامور وهذا
كلام مسند ردي حقيقة وشرعا اما الحقيقة فان الحي لا ينصور
ان يكون حسا ساكنا محبا لما يلائمه مبغضا لما ينافره ومن قال ان الحي
يستوي عنده جميع المقدرات فهو احد رجلين اما انه لا يتصور



ما يقول بل هو جاهل واما انه مكابر معاند ولو قدر ان الانسان
حصل له حال ازال عقله سواء سمي اصطلاما او فناء او غشيا
او ضعفا فهذا اسقط احساسه نفسه بالكلية بالكلية احساسه بالاشياء
وما بانافه وان سقط احساسه ببعض الاشياء فانه لم يسقط جميعها
فمن زعم ان المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل في مقام الجمع والفناء فلا
يشهد فرقا فانه غالط بل لا بد من الفرق فانه امر ضروري لكن
اذا خرج عن الفرق الشرعي بقي الفرق الطبيعي فيبقى شبعا الهواه
لا مطيعا للمولاه واهل الكلام وقعت هذه المسئلة بين الحسنية واصحابه
ذكر لهم الفرق الثاني وهو ان نفرق بين المامور والمحظور وبين ما يحبه الله
وما يكرهه مع شهوده للقدر الجامع فيشهد الفرق في الجمع ومن لم
يفرق بين المامور والمحظور والاخرج عن دين الاسلام وهؤلاء الذين
يكلمون في الجمع لا يخرجون عن الفرق الشرعي بالكلية وان خرجوا عنه
كانوا كفارا من جنس الكفار وهم الذين يخرجون الى التسوية بين الرسل
وغيرهم ثم يخرجون الى القول بوحدة الوجود فلا يفرقون بين الخالق
والمخلوق وانما ليس كل هؤلاء ينتهون الى هذا الاتحاد بل يفرقون من
من وجه دون وجه فيطيعون الله ورسوله تارة ويعصون الله ورسوله
تارة كالعصاة من اهل القبلة وهذا الامور منسوطة في غير هذا الموضع
والمقصود هنا ان لفظ الدعوة والدعاء يراد بهما هذا وهذا قال تعالى
واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وفي الحديث افضل الذكر
لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره
دعوة اخي ذي النون لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربته سماها دعوة لانها
تتضمن نوعي الدعاء فقوله لا اله الا انت اعتراف بتوحيد الالهية
وتوحيد الالهية يتضمن احد نوعي الدعاء فان الاله
هو المستحق لان يدعا دعاء عباده ودعا مسئلة وهو الله لا اله الا هو
وقوله اني كنت من الظالمين اعتراف بالذنب وهو متضمن طلب
المغفرة فان الطالب السايل تارة يسال بصيغة الطلب وتارة
يسال بصيغة الخبر اما بوصف حاله واما بوصف حال المسو

واما وصف الحال الذي يقول نوح عليه السلام رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين فهذا ليس بصيغة طلب وانما هو اخبار عن الله انه ان لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وكذلك قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين هو من هذا الباب ومن ذلك قول موسى عليه السلام رب اني لما انزلت الي من خير فقير فان هذا وصف لحاله بانه فقير الى ما انزل الله اليه من الخير وهو متضمن لسؤال الله انزال الخير اليه وقد روى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه مالك في الموطأ وقال من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واظن البيهقي رواه مرفوعا بهذا اللفظ وقد سئل سفين بن عيينة عن قوله افضل الدعاء يوم عرفه لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فذكر هذا الحديث واسنده قول قيه بن الجلصلي يمدح ابن جاعان

اذا ذكر جاعان فل كفاني ... حباك ان شيمتي الحباء

قال فهذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان فهذا خبر يتضمن السؤال ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام مسني الضر وانت ارحم الراحمين فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته لكشف ضره وهي صيغة خبر تضمنت السؤال وهذا هو من باب حسن الادب في السؤال والدعاء فقول القائل لمن يعطيه ويرغب اليه انا تابع لما تامر به من حسن ادب في السؤال وان كان في قوله اطعمني وداوني ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب لازم من السؤال فذلك فيه اظهار حاله واخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب



وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء اذا كانت لمن يحتاج اليه الطالب او ممن يقدر على فهم المطلوب منه ونحو ذلك فانها تقال على وجه الامر اما لما في ذلك من حاجة الطالب واما لما فيه من نفع المطلوب فاما اذا كانت من الغني من كل وجه للغني من كل وجه فانها سؤال محض يتذلل فيه واظهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو ابلغ من جهة العلم والبيان وذاك اظهر من جهة القصد والارادة فهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لان الطالب السائل يتصور مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطابقة والقصد الاول وتصريح به باللفظ وان لم يكن فيه وصف الحال للسائل والمسؤل فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من التوجيه فانه يتضمن الخبر والعلم المقتضي للسؤال والاجابة ويتضمن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضي له والاجابة كقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له علمني دعاء ادعو به في صلاتي فقال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وانه لا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم في الصحيحين فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضي لحاجته الى المغفرة وفيه وصف ربه الذي يوجب انه لا بد ان يغفر على المطلوب مغفرته وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضي للاجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه اكمل انواع الطلب وكثير من الادعية يتضمن بعض ذلك كقول موسى عليه الصلوة والسلم انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين فهذا طلب ووصف الرب بما يقتضي الاجابة وقوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فيه وصف حال النفس والطلب وقوله انى لما انزلت الي من خير فقير فيه الوصف المتضمن السؤال بالحال وهذه انواع لكل نوع منها خاصة يعني ان يقال **فصاحب الجوف** ومن شبهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب **فيقال** لان المقام مقام اعتراف بان ما اصابني من الشر بذنبي **فاصل الشر** هو الذنب والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يات بصيغة طلب كشف الضر لاستشعاره انه مسيء وظالم هو الذي ادخل الضر على نفسه فناسب ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه وذلك صيغة طلب الاستغفار

لانه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني لخلاف كشف الكرب فانه مقصود له في حال وجوده بالقصد الاول اذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة اليه وفي الحال من زوال الضرر الحاصل من الحال فقد طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الاول في هذا المقام المغفرة وكشف الضر فهذا مقدم في قصد وارادته وابلغ مما يليه رفع سببه فحاصل المحصل مقصوده وهذا بين بالكلام على قوله سبحانك فان هذا اللفظ يتضمن بعظيم الرب وتنزيهه والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب يقول انت مقدس منزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب بل الظالم الذي ظلمني نفسي قال تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقال وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فانه لا يغفر الذنوب الا انت وفي صحيح البخاري في سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فالها اذا اصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه ان يعترف بعدل الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئا ولا يخاف احد الا بذنبه وهو يحسن اليهم كل نعمة منه عدل وكل نعمه منه فضل **فقوله لا اله الا انت** فيه اثبات انفراده بالالهية **والالهية** تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ففيها اثبات احسانه الى العباد فان الاله هو المالوه والمالوه الذي يستحق ان يعبد وكونه يستحق ان يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي يستلزم ان يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع والعبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل **وقوله سبحانك** يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقايص قال التسبيح وان كان يتضمن نفي النقائص وقد روى في حديث مرسل من مراسيل موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول العبد سبحان الله انها براءة لله من السوء فالنفي لا يكون مدحا الا اذا تضمن ثبوتا والا فالنفي المحض لا مدح فيه وفي السوء والنقص عنه يستلزم اثبات كماله وكماله ولله الاسماء الحسنى وهذا كما عامه ما اثنى به القرآن



نفي السوء والنقص عنه يتضمن اثبات محاسنه وكماله كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فنفي اخذ السنة والنوم له يتضمن كمال حياته وقيوميته **وقوله** ما مسنا من لغوب يتضمن كمال قدرته وجنود ذلك فالتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه فوق قوله **سبحانك** تنزيه من الظلم واثبات العظمة الموجبة له بزاته من الظلم واثبات العظمة الموجبة له بزاته من الظلم فان **الظالم** انما يظلم لحاجته الى الظلم او لجهله **والله** غني عن كل شيء وكل شيء فقير اليه وهو عزيز بنفسه وكل ما سواه فقير اليه وهذا كمال العظمة **وابصا** وهذا الدعا التهليل والتسبيح **فقوله لا اله الا انت تهليل** **وقوله** سبحانك تسبيح وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والحمد مقرون بالتسبيح ونابع له والتكبير مقرون بالتهليل ونابع له وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده وفي الصحيح كلمتان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفي القرآن فسبح بحمد ربك وقال الملائكة ونحن نسبح بحمدك وهنا ان الكلمتان اجلهما مقرونة بالتحميد والاخرى بالتعظيم فانا قد ذكرنا ان التسبيح فيه نفي السوء والنقايص المتضمن اثبات المحاسن والكمال **والجمل** انما يكون على المحاسن وقرن بين الجود والتعظيم كما قرن بين الجلال والاكرام اذ ليس كل معظم محمودا محبوبا ولا كل محبوب محمودا معظما وقد تقدم ان العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد وتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم ففي العبادة جمعه وحمده على المحاسن وفيها الذل الناشئ عن عظمته وكبريائه ففيها اجلاله واكرامه وهو سبحانه المستحق للجلال والاكرام فهو المستحق غاية الاجلال وغاية الاكرام ومن الناس من يحسب ان الجلال هو الصفات السلبية والاكرام الصفات الثبوتية كما ذكر ذلك الزازي ونحوه والتحقيق ان كلا هما صفات ثبوتية واثبات الكمال يستلزم نفي النقايص لكن ذكر نوعي الثبوت وهو ما يستحق ان يحب وما يستحق ان يعظم كقوله ان الله هو الغني الحميد وقول سليمان عليه السلم

فان زيدا غنى كريم وكذلك قوله له الملك وله الحمد فان كثيرا ما يكون له
الملك والغنى لا يكون محمودا بل مذموما اذ الحمد يتضمن الاخبار عن المحمود
بمحاسنه المحبوبة ويتضمن اخبارا بمحاسن المحمود ومحبته له وكثيرا ما لا
تثبت من الحمد والمحبة بكون فيه عجز وضعف وذلك ينافي العظمة
والغنى والملك فالاول يهاب ويخاف ولا يحب وهذا يحب ويحمد
ولا يهاب ولا يخاف والكمال اجتماع الوصفين كما ورد في ذلك الاثر
ان المؤمن يزوجه عمله ومحبته وفي نعت النبي صلى الله عليه وسلم كان من زاه
بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه فقرن التسبيح بالتحميد
وقرن التهليل بالتكبير كما في كلمات الاذان ثم ان كل واحد من النوعين
يتضمن الاخر اذا افرد فان التسبيح والتحميد يتضمن التعظيم ويتضمن
اثبات ما يحمد عليه وذلك يستلزم الالهية فان الالهية تتضمن كونه محبوبا
بل تتضمن انه لا يستحق كمال المحبة الا هو والحمد هو الاخبار عن المحمود
بالصفات التي يستحق ان يحب فالالهية تتضمن كمال المجد ولهذا كان
الحمد لله مفتاح الخطاب وكل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو
اجذم وسبحان الله فيها اثبات عظمته كما قد مناه ولهذا قال
فسبح باسم ربك العظيم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم
رواه اهل السنن وقال واما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود
فاجتهدوا فيه في الدعاء فضمن ان يستحاب لكم رواه مسلم فجعل التعظيم
في الركوع اخص منه بالسجود والتسبيح يتضمن التعظيم فقوله سبحان الله
وبحمده اثبات تنزيهه وتعظيمه والهيته وحده **واما قوله لا اله الا الله**
والله اكبر فهي لا اله الا الله يحامد فانها داخلة في الهيته **وفي قوله**
**الله اكبر** اثبات عظمته فان الكبر يتضمن العظمة للكبر بالكسر
اكمل ولهذا جاءت الالفاظ المشتركة وعد في الاذان والصلوة يقول الله
اكبر فان ذلك اعظم من قولك الله اعظم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري
فمن نازعني واحدا منهما عذبته فجعل العظمة كالازار والكبرياء كالرداء
ومعلوم ان الرداء اشرف فلما كان الكبر ابلغ من العظم صرح
بلفظه وتضمن ذلك العظم في قوله سبحان الله صرح فيها بالتنزيه
من السوء المتضمن للتعظيم فصار كل من الكلمتين متضمنا معنى الكلمتين



الاخرتين اذا افردتا وعند الاقتران تعطي كل كلمة خاصتها وهذا كما
ان كل اسم من اسماء الله فانه يستلزم معنى الاخر فانه يدل على الذات والذات
تستلزم معنى الاخر لكن هذا بالتزام واما دلالة كل اسم على خاصيته
وعلى الذات مجموعها فبالمطابقة ودلالتها على احدهما بالتضمن **فقول الداعي**
لا اله الا انت سبحانك يتضمن معنى الكلمات الاربع اللاتي هن افضل الكلام
بعد القرآن وهذه الكلمات تتضمن معاني اسمائه الحسنى وصفاته العلى
ففيها كمال المدح **وقوله** اني كنت من الظالمين فيها اعتراف بحقيقة
حاله وليس لاحد من العباد ان يبرئ نفسه عن هذا الوصف لا سيما في مقام
مناجاته لربه وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وقال من قال انا خير
من يونس فقد كذب فمن ظن انه خير من يونس بن متى بحيث انه ليس عليه ان
يعترف بظلم نفسه فهو كاذب ولهذا كان سادات الخلائق يقولون بفضلهم
انفسهم على يونس ولهذا المقام يقول كما قال ابوهم آدم وخاتمهم محمد صلى الله عليهما وسلم

**فصل** واما قوله لقابيل كانت موجبة لكشف الضر واذا كان
الضر لا يكشفه الا الله كما قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله والذنوب سبب للضر والاستغفار يزيل
سببه كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وفي الحديث من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير **فقوله** اني كنت من الظالمين اعتراف بالذنب وهو استغفار فان هذا
الاعتراف متضمن طلب المغفرة **وقوله** لا اله الا انت يحقق توحيد الالهية
فان الخير لا موجب له الا مشيئة الله وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن والمفرق له
من العبد هو ذنوبه وما كان خارجا عن قدرة العبد فقد من الله وان كان فعال
العباد بقدر الله تعالى لكن الله تعالى جعل فعل المأمور وترك المحظور سببا
للنجاة والسعادة فشاهدة التوحيد بفتح باب الخير والاستغفار
من الذنوب يغلق باب الشر ولهذا يسمى العبد ان لا يعلق نجاة الا بالله
ولا يخاف من الله ان يظلمه فان الله لا يظلم شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
بل يخافون ان يجرئه بذنوبه وهذا معنى ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال
لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه وفي الحديث المرفوع الى النبي صلى الله

ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على مريض فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي
فقال ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما
يخاف فالرجا ينبغي أن يتعلق بالله لا بعلق مخلوق ولا بقوة العبد ولا بعمله
فان تعليق الرجا بغير الله شرك وان كان الله قد جعل لها اسبابا فالسبب لا يستقل
بنفسه بل لا بد له من معاون ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ومتى
لا يشأ الله تعالى ولهذا قيل الكلمات التي الأسباب شرك في الرجاء
ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والاعراض عن الأسباب
بالكلية قدح في الشرع ولهذا قال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك
فارغب فأمر بأن تكون الرغبة اليه وحده وقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين فالقلب لا يتوكل الا على من يرجوه فمن رجا فوقه او على او عمله او حاله
او صديقه او قرابته او شيخه او ملكه او حاله غير ناظر الى الله كان فيه نوع
توكل ذلك السبب وما رجا أحد مخلوقا وتوكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه
مشرك ومن أشرك بالله فكما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به
الريح في مكان سحيق وكذلك المشرك يخاف المخلوق ويرجوهم فيحصل له ما ذكر
كما قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطانا وما لدين به علم والخالص من الشرك يحصل له الامن لقوله تعالى الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقد فسر النبي صلى الله
عليه وسلم الظلم ههنا بالشرك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
الآية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لا يظلم نفسه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان
الشرك لظلم عظيم وقال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا
العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما
تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار وقال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون



عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ولهذا يذكر الله الاسباب
ويأمر ان لا يعتمد عليها ولا يرجا الا الله قال الله تعالى ما انزل الملائكة
وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا
الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقد قضى ان الدعا
نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة وكلاهما لا يصلح الا لله
فمن جعل مع الله الها آخر فقد مذموما مخذولا والراجي طالب سائل
فلا ينبغي ان يرجو الا الله ولا يسأل غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما اتاك من هذا المال وانت
غير سائل ولا مشرف فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك فالمشرف
الذي يستشرف بقلبه والسائل الذي يسأل بلسانه وفي الحديث الذي رواه مسلم
في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال اصابتنا فاقة فجئت النبي صلى الله عليه وسلم
لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول ايها الناس والله مهما يكن عندنا
من خير فلن ندخره عنكم وانه من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يصبر يصبره الله وما
اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر فالاستغنا
بصبر بقلبه اجمل فيستشرف اليه والاستعفاف ان لا يسأل بلسانه اجمل
ولهذا لما سئل احمد بن حنبل عن التوكل قال قطع الاستشراف
الى المخلوق اي لا يكون في قلبك اجل اليك شيء فقيل له فما الحيلة في ذلك
قال قول الخليل لما قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فهذا
وما يشبهه مما بين ان العبد يطلب ما ينفعه ويدفع ما يضره لا يتوجه قلبه
الا الى الله فهذا قال المكروب لا اله الا انت ومثل هذا ما في الصحيحين عن
ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش الكريم
فان هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد وان الله العبد ربه ويخاف رجاه
به وحده لا شريك له وهو لفظه خير متضمن الطلب والناس وان
طانوا يقولون بالسنتهم لا اله الا الله فقول العبد لها مخلصا من قلبه
حقيقة اخرى وتحقيق التوحيد تكمل طاعة الله قال الله تعالى
أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا

يخصص دعاء الكرب

فمن جعل ما إلهه هو ما يهواه أي جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين
الذين يعبدون أحدهم ما يستحسنه فهم يحبون ما يحبون الله ويحبون الله
ولهذا قال الخليل لا أحب الآفلين فإن قومه لم يكونوا يعتقدون في الكواكب
ولكن كانوا يحبونها ويعظمونها فلما كانت الشمس والقمر والكوكب
والخليل يعلم أن الآفل يغيب عن عباده ويحتجب عنه الحواجب فلا يراه عابده
ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بنسب ولا غيره فأي وجه
لعبادة من هذا شأنه فكل ما تحقق العبد الإخلاص في قول لا إله إلا الله خرج
من قلبه ما يهواه ويتصرف عنه المعاصي والذنوب كما قال تعالى كذلك
نصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين فجعل سبحانه
صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباده المخلصين وهؤلاء هم الذين قال الله
فيهم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال للشيطان فبعزتك لأغوينهم أجمعين
إلا عبادك منهم المخلصين وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فإن الإخلاص
ينور دخول النار فيدخل النار من الغا بلا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم
له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي وقعه فيما دخله النار
والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا
في كل صلاته أن يقول إياك نعبد وإياك نستعين والشيطان يأمر
بالشرك والنفس تطمعه في ذلك فلا يزال النفس تلتفت إلى غير الله إما خوفا
منه وإما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا إلى تحقيق إخلاصه المحرم
للشرك وفي الحديث الذي رواه أبو داود عن عاصم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال يقول الشيطان هلك الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار
فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا فصاحب الهوى الذي اتبع هواه بغير هدى من الله لم تصب من
اتخذ إلهه هواه فصار فيه شرك متنوع من الإستكبار وإما من تحقق
التوحيد والاستغفار فلا بد أن يدفع عنه أكثر فلهذا قال والذي
لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين ولهذا يغفر الله سبحانه وتعالى
بمثل التوحيد والاستغفار وغير موضع كقوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وفي قوله أن لا تعبدوا إلا الله إني لكم
منه نذير ومبشر وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وقوله والى عاد أخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إلى قوله واستغفروه وحالمه



المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
أن كان مجلس جميعه كانت كالطابع عليه وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له
وقد روي نهاية المقال في آخر الوضوء بعد أن يقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من
المتطهرين وهذا الذكر تضمن التوحيد والاستغفار فإن صدره
الشهادتان اللتان هما أصل الدين وجماعه فإن جميع الدين داخل في الشهادتين
إذ مضمونها أن لا يعبد إلا الله وأن يطيع رسوله والدين كله داخل في هذا
في عبادة الله بطاعة الله ورسوله وكل ذنب أو سيئة داخل في طاعة الله ورسوله
وقد روي أنه يقول سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك فقد شرع في آخر المجلس في آخر الوضوء ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
يختم الصلوات كما في الحديث الصحيح أنه كان يقول في آخر صلاته اللهم اغفر لي
ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت
المؤخر لا إله إلا أنت وهنا قد تقدم الدعاء وختمه بالتوحيد لأن الدعاء مأمور به
لأن تختم الصلوة وختم بالتوحيد لتختم الصلوة بأكمل الأمرين وهو التوحيد بخلاف
ما إذا قصد فيه هذا فإن نفس التوحيد أفضل من جنس الدعاء الذي هو سؤال وعبادة
أفضل من جنس الدعاء الذي هو سؤال وطلب وإن كان المفضول قد يفضل على
الفاضل في موضعه الخاص بسبب وباستثناء آخر كما أن الصلوة أفضل من القراءة
والقراءة أفضل من الذكر بخلاف الذكر الذي هو ثناء والذكر أفضل من الدعاء الذي هو السؤال
ومع هذا فالمفضول له أمكنة وأزمنة وأحوال يكون فيها أفضل من الفاضل
لكن رأس الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد وإخلاص الدين كله لله
بخلاف قول لا إله إلا الله فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها فهم متفاضلون
في تحقيقها تفاضلا لا يقدر أن يضبطه حق ضبطه منهم يظنون أن التوحيد المفروض
هو الإقرار والتصديق الذي فر به مشركو العرب وليس توحيد إلهيته
الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجموعون بين التوحيد القولي
والعملي قال المشركون كانوا يقولون أن الله هو الخالق لخلقه أنتا ولا منع الثوريا
يتفرد دونه بخلق شيء بل كانوا صافا قال الله عنهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله وقال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون وقال تعالى قل لمن الأرض
ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير
ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون وكانوا مع إقرارهم بأن الله
هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى يجعلونهم شفعاءهم إليه ويقولون إنما

نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ويحبونهم كحبه والاشراك في المحبة والعبادة والدعاء
والسؤال هو الشرك في الاعتقاد والاعمال قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فمن احب مخلوقا
كما يحب الخالق فهو مشرك قال الله من دون الله اندادا وان كان مقرا
بان الله خالقه واهل اقر لله ورسوله بان من احب مخلوقا كما يحب الله ومن احب
مخلوقا مع الله فالاول يكون الله محبوبه ومعبوده الذي هو منتهى حبه وعبادته
ويكون معه غيره لكنه لما علم ان الله يحب انبياءه وعباده الصالحين احبهم
لاجله وكذلك لما علم ان الله يحب فعل المامور وترك المحظور احب ذلك
وكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وبغضا عليه وداخلا فيه بخلاف من احب
مع الله فجعله ندا لله يرجوه ويخافه او يطيعه من غير ان يعلم ان طاعته طاعة الله
ويتخذه شفيعا لاجل من غير ان يعلم ان الله قد اذن له ان يشفع فيه قال تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقد قال عدي بن حاتم
للنبي صلى الله عليه وسلم ما عبدوهم قال احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم
الحلال فاطاعوهم فبذلك اتخذوهم ارباب من دون الله تعالى لم يامرهم بذلك ولم يشرعوا لهم
من الدين ما لم ياذن به الله وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني
اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر
بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا فالمحلل ما احله الله والمحرم ما حرمه والدين ما شرعه
الرسول فمن اطاع الله فالمحلل ما احله والمحرم ما حرمه وحبت طاعته لانه من يطع
الرسول فقد اطاع الله وهذا اذا امر الله ورسوله بطاعة شخص او طاعة كل احد
طاعة لله وهذا اذا امر الله ورسوله بطاعة ولي الامر فطاعته طاعة الله
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فاذا امر ولي الامر بما امر الله به ورسوله من طاعته وطاعة رسوله كان
طاعة ولي الامر داخلة في طاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله واما
الفعل في طاعة الرسول دون طاعة ولي الامر فانه من يطع الرسول
فقد اطاع الله فليس لاحد اذا امر الرسول بامر ان يشترط هل امره الله بهذا
او لا بخلاف ولي الامر فانهم قد يامرون بمعصية فليس كل من اطاعهم مطيعا
لله بل لا بد فيما يامرون به ان يعلم انه ليس بمعصية لله وينظر هل
امر الله به امرا سواء كان ولي الامر من العلماء او الامراء ويدخل في



هذا نقل العلماء وطاعة امرا السنة اياه وغير ذلك وبهذا يكون الدين
كله لله قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميته
ويقاتل رياء فاي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي
العليا فهو في سبيل الله فبين ان كثيرا من الناس يحب خليفة او عالما
او شيخا او اميرا فيجعله لله وان كان قد يقول انه يحب لله ففي
جعل غير الرسول يحب طاعته في كل ما يامر به وينهى عنه وان خالف امر الله
ورسوله فقد جعله ندا لله وربما تصنع به كما تصنع النصارى بالمسيح
ويدعونه ويستغيث به ويوالي واليه ويعادي اعداءه مع انجابة
طاعته في كل ما يامر به وينهى عنه وخلله وخرمه بغير ما انزل الله ورسوله
فهذا من التنديد الذي يدخل صاحبه في قوله ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فالتوحيد
والاشراك يكون في القلب ويكون في اعمال القلب ولهذا قال الجنيد
التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب اراد بذلك التوحيد
الذي هو التصديق فانه لما قرنه بالتوكل جعله اصله اذا افرد لفظ التوحيد
فهو يتضمن قول القلب وعمله والتوكل من تمام التوحيد وهذا كقولهم
الايمان فانه اذا افرد دخلت فيه الاعمال الباطنة والظاهرة وقيل
الايمان قول وعمل اي قول القلب واللسان وعمل
القلب والجوارح منه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والحياء شعبة من الايمان ومنه قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
وقوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المومنون حقا وقوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا
معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه والايمان المطلق يدخل فيه
الاسلام كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لوفد عبد القيس

كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا

آمنت بالايمان بالله انذرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تؤدوا خمسا من المغنم ولهذا قال من قال من السلف كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا واما اذا افرد لفظ الايمان بالعمل او بالاسلام فانه يفسر بمعناهما كما في قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وهو في القرآن كثير وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لما سئل عن الاسلام والايمان والاحسان فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال فما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره قال فما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لم تكن تراه فانه يراك ففسر في هذا الحديث الاسلام بما فسر به الايمان وفسر الايمان بما فسر به الاسلام وفي ذلك دخل الاسلام الظاهر مع موجب ايمان القلب ومقتضاه فاذا حصل ايمان القلب حصل ايمان الجوارح ضرورة وايمان القلب لابد فيه من تصديق بالقلب وانقياده فلو صدق قلبه بان محمدا رسول الله وهو مبغضه ومحسده ويستكبر عما جاء به لم يكن قد آمن قلبه والايمان وان تضمن التصديق فليس هو مجرد ذلك فلا يقال لكل مصدق بشيء مؤمن به فلو قال انا اصدق بان الواحد نصف الاثنين وان السماء فوقنا والارض تحتنا ونحو ذلك مما نشاهده او نعلمه لم يقل انه مؤمن بذلك بل لابد من عمل لا فيما اخبر بشيء من الامور الغائبة كقول اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فانهم اخبروه بما غاب وهم يفرقون بين من له وامن به فالاول يقال للمخبر والثاني للمخبر به كما قال اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا وقال تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ففرق بين ايمانه بالله وايمانه للمؤمنين لان المراد تصديقه فالمؤمنين اذا اخبروه ان فرعون وملأه بالله انهم لمؤمنون بما ارسل به موسى فلنا اي نقر لهما ونصدقهما ومنه قوله تعالى عن قوم فرعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ومنه قوله فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي ومن المعلوم ان الاخبر لوله يؤمنون بالغيب وقوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله والملائكة والكتاب والنبيين اي اقر بذلك ومثل هذا كثير في القرآن والمقصود هنا ان لفظ الايمان اذا افرد بذلك ومثل بعض الاخبار وهو ما خوذ من الامن فهذا الافراز ما خوذ من قر والمؤمن صاحب امن فهذا ان الاخبار ما خوذ المقر صاحب اقرار فلا بد في ذلك من عمل القلب وهو تصديقه فاذا كان عالما بان محمدا رسول الله ولم يقر بذلك حبا له وانقيادا له بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس من الايمان الذي امر به بل هذا حال ابليس وفرعون واهل الكتاب الذين يعرفون انه نبي كما يعرفون ابناءهم وغير هؤلاء فان ابليس لم يكن جاهلا بل كان عالما بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره وبان محمدا رسول الله ولم ينكر شيئا من ذلك ولكن استكبر عن امر ربه وفرعون وقومه قال الله فيهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فمجرد علم القلب بالحق لن ينفع صاحبه بل اسوء الناس حالا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع وقد كان الجهمية ظنوا ان مجرد علم القلب وتصديقه هو الايمان وان من دل الشرع على انه ليس بمؤمن فان ذلك على علم علم قلبه وهذا من اعظم الجهل شرعا وعقلا وحقيقته توجب التسوية بين المؤمن والكافر ولهذا اطلق وكيع بن الجراح واحمد بن حنبل وغيرهما من الائمة كفر من قال ذلك فانه يعلم ان الانسان يكون عالما بالحق وبعضه لغير ضرورة فليس كل من كان مستكبرا عن الحق يكون غير عالم به وجحيد فالايمان قول وعمل ثم انه اذا اجتمع القلب بالتصديق والبغية التامة لزم وجود المراد قطعا واما بدون ذلك فقد يوجد العلم المنتفية الارادة لزم وجود الافعال الظاهرة فان الارادة الجازمة اذا اقترن بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا واما بدون ذلك فقد يوجد العلم بدون الارادة او الارادة بدون القدرة او لعدم كمال الارادة والاصل كما للطالب وجود الفعل الاختياري فاذا اقر القلب اقرارا تاما بان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واحبه محبة تامة امتنع مع ذلك ان لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته عليه ذلك بخلاف اذا كان عاجزا كالاخرس ونحوه او لخوف ونحوه لم يكن قادرا على النطق بهما وابو طالب

وان كان عالما بان محمدا رسول الله وهو يحبه له فلم يكن محبته لله بل كان
يحبه لانه ابن اخيه فمحبته للغذاء به واذا احب ظهوره فما يحصل له بذلك من
الشرف والرياسة فاصل محبوبه هو الرياسة فلهذا لما عرض عليه
الشهادتين وقبلهما ولم يرض في الاخرة ان يهاجر وان يدين بدينه
احب الله من لم يحبه فلم يقبل بهما فلو كان يحبه لانه رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما كان يحبه ابو بكر رضي الله عنه الذي قال الله فيه وسيجنبها
الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
ولسوف يرضى كما كان يحبه سائر المؤمنين جميعهم وعثمان وعلي وغيرهم رضي الله
عنهم لنطق بالشهادتين قطعا فكان حبه جماع الله لاجل الله ولهذا
لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول ومؤازرته لانه لم يعله لله والله لا يقبل
الا عمال الا ما ابتغي به وجهه الخالص الذي فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه
الاعلى وهذا ما يحقق ان الايمان والتوحيد لابد فيهما من عمل القلب
القلب فلابد من اخلاص الدين لله والدين لا يكون دينا الا بعمل القلب
بتضمن الطاعة والعبادة وقال تعالى الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه
الكافرون وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فاخبر ان
والثانية توحيد العمل والارادة فقال في الاولى فاعبد الله مخلصا له الدين
الم يلد ولم يولد بعد ان له كفوا احد فامر ان يقول هذا الثاني وقال في الثاني
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم
ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين فامر ان يقول ما يوجب
البراءة من عبادة غير الله واخلاص العبادة لله والعبادة اصلها
القصد والارادة والعبادة اذا اطلقت دخل فيها التوكل ونحوه واذا اقترنت
بالتوكل صار التوكل قسيما له كما ذكرناه في لفظ الايمان قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم فهل ونحوه
يدخل فيه فعل المامورات وترك المحظورات والتوكل من ذلك وقد قال في
موضع اخر اياك نعبد واياك نستعين وقال فاعبده وتوكل عليه ومثل
هذا كثير مما يجيء في القرآن بنوع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب
الافراد والاقتران كلفظ المعروف والمنكر فانه قد قال كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر فالمنكر يدخل فيه ما كرهه الله
كما يدخل في المعروف ما يحبه الله وقد قال تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر

فصل



والمنكر فعطف المنكر على الفحشاء ودخل في المنكر البغي وقال في موضع اخر
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
ومن هذا الباب لفظ الغرماء والمساكين اذا افرد احدهما دخل فيه الاخر
واذا قرن احدهما بالاخر صار لكل منهما معنى فالفقير هنا احد الاصنافين من
الاخر وهنا بينهما عموم وخصوص ومحبته الله وحده والتوكل عليه
وحده وخشيته الله وحده ونحو هذا كل هذا يدخل في توحيد الله تعالى
قال تعالى في المحبة ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حبا لله وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا الاية قال تعالى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فجعل الطاعة لله والرسول وجعل
الخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وقال تعالى
فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فجعل التعبيد والرغبة الى الله وحده
وهذه الامور متبسوطة وغير هذا الموضع والمقصود هنا ان قول القائل
لا اله الا الله فيه اقرار الالهية وحده وذلك يتضمن التوحيد لله تصديقا
وعملا فالمشركون كانوا يقرون ان الله رب كل شيء ومليكه كما ان المبطلون
معه الهة اخرى فلا يخصونه بالالهية وتخصيصه بالالهية ان لا يعبد الا اياه
وان لا يسأل غيره كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين فان الانسان قد
يقصد ان يسأل الله والتوكل عليه لكن قد يامر لا يحبها الله بل يكرهها وينهى عنها
فهل وان كان مخلصا في سؤاله والتوكل عليه لكن ليس هو مخلصا في عبادته وطاعته
وهل حال كثير من اهل التوجهات الفاسدة اصحاب الكشوفات والتصرفات
المخالفة لامر الله ورسوله فانهم يعانون على هذه الامور وكثير منهم من يستعين بالله
عليها لكن لما لم تكن موافقة لامر الله ورسوله حصل لهم نصيبا من العاجلة وكان عاقبتهم
عاقبة سيئة قال تعالى واذا مس الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقال واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او
قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه وطايفة
اخرى قد يقصدون طاعة الله ورسوله لكن لا يحققون التوكل عليه والاستعانة به
فهؤلاء يثابون على حسن نيتهم وعلى طاعتهم لكنهم مجدون ونقصون فيما يقصدونه
اذا لم يحققوا الاستعانة بالله والتوكل عليه وهذا يبتلى الواحد من هؤلاء بالضعف

والجزع تارة وبالاعجاب اخرى فان الحاصل مراده من الخير كان لضعفه وربما
حصل له جزع وان حصل مراده نظر الى نفسه وقوته فحصل له اعجاب وقد
يحول حاله فينظر حصول مراده فيحزن قال تعالى وبوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته
على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ووصف مالفرق
الناس من الزنا والعجب **قال** يا مرياب الاشراك بالخلق **والعجب من ذلك**
الاشراك بالنفس وهذا حال المستكبر **فالمراءي** لا يحقق قوله اياك نعبد **والمعجب**
لا يحقق قوله اياك نستعين فمن يحقق قوله اياك نعبد خرج عن الرياء ومن يحقق قوله اياك نستعين خرج عن الاعجاب وفي الحديث
المعروف ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه
وشر من هولاء وهولاء من لا يكون عبادته لله ولا استعانته بالله بل
يعبد غيره ويستعين غيره وهولاء المشركون من الوجهين ومن هولاء من
يكون مشركا بالشيطان كاصحاب الاحوال الشيطانية فيفضلون ما يحبه
الشياطين من الكذب والفجور ويدعون بما يحبه الشياطين ويعينون
بالعزائم التي يطيعها الشياطين مما فيها الشرك بالله كما قد بسط الكلام عليهم في
مواضع اخر وهولاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن انه من كرامات الاولياء
وانما هو من احوال السحرة والكهان ولهذا يخبر الفرق بين الاحوال الفرعونية
والاحوال النفسانية والاحوال الشيطانية **واما القسم الرابع** فهو اهل
**المكروب** لا اله الا انت فلا يستحضر في ذلك احد النوعين دون الاخر
فمن لزم الله عليه النعمة لا يستحضر التوحيد في النوعين وان المكروب هو الذي
الى دفع ضره وجلب غرضه فقد يقول لا اله الا انت مستشعرا انه لا يكشف
الضر غيره ولا يأتي بالنعمة الا انت فهذا يستحضر توحيد الربوبية مستحضر
توحيد السؤال والطلب والتوكل معرض عن توحيد الالهية الذي هو عبادة الله
وتوحيد الامر به وهو ان لا يعبد الا اياه ولا يعبد الا بما امر به وطاعة رسوله
فمن استشعر هذا في قوله لا اله الا انت كان عابدا لله منوكلا عليه وكان مستمثلا
قوله واعبده وتوكل عليه وقوله توكلت والبه انيب وقوله واذكر
اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
ان كان مطلوبه محرما اثم وان فصيبت حاجته وان كان طالبا مباحا لغير



فصل الاستعانة على جميع عباده الله وطاعته لقصد الاستعانة به على ذلك اثما
ماجورا وهذا مما يفرق بين العبد الرسول وخلفائه وبين النبي الملك فان
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون عبدا رسولا
فاختار ان يكون عبدا رسولا فان العبد الرسول هو الذي لا يفعل الا ما
امر به ففعله كله عباده لله وهو عبد محض منقاد لمن ارسله
كما ثبت عنه في صحيح البخاري انه قال اني والله لا اعطي احدا ولا امنع احدا وانما
انا قاسم اضع حيث امرت وهو لم يرد بقوله لا اعطي ولا امنع افراد الله بذلك
فقد رأوه كانوا يعلمون ان جميع الخلق فيما يشاهدونه في ذلك فلا يعطي احد ولا يمنع الا بقضاء
الله وقدره وانما اراد اخبار الله بذلك شرعا وقدرا فانا لا اعطي الا من امرت باعطائه
ولا امنع الا من امرت بمنعه فانا مطيع لله في عطائي ومنعي فصوت نفسي الصدقات
والفيء والغنائم كما نفس للوارث كلا لله من بهذه القسمة ولهذا كان المال حيث اضيف
الى الله ورسوله فليس المراد به انه ملك للرسول خاصة بل هو ملك لله وللرسول
كونه مملوكا لله خلقا وقدرا فان جميع الاموال بهذا المعنى وهذا كقوله
فان لله خمسه وللرسول وقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول وقوله وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير وما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما يكون دولة بين
الاغنياء منا الا به فذكر في الفيء ما ذكر في الخمس فظن طائفة من الفقهاء
ان الامام فيما للرسول يقتضي ان يملكه كما يملك الناس املاكهم وقال بعضهم
ان غنائم بدر كانت ملكا للرسول وقال بعضهم ان الرسول بما كان يسهم من
الخمس خمسه وقال بعضهم هولاء وكذلك كان يسهم من خمس الخمس حسبه وهذه
الاقوال توجد في كلام طوائف من اصحاب الشافعي واحمد واهل حنيفة وغيرهم
وهذا غلط من وجوه منها ان الرسول لم يكن يملك هذه الاموال كما يملك
الناس اموالهم ولا كان يتصرف الملوك في ملكهم فان هولاء وهولاء ليس لهم ان يتصرفوا
باموالهم في المباحات فاما ان يكون ما اله فيصرفه في اعز اصنافه الخاصة واما
ان يكون ملكا فيصرفه في مصلحة ملكه وهذه حال النبي صلى الله عليه وسلم الملك
كداود وسليمان قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب اي
اعط من شئت او امنع من شئت لا حساب عليك ونبينا صلى الله عليه وسلم
كان عبدا رسولا لا يعطي الا من امر ان يعطيه ولا يمنع من امر بمنعه فلم يكن يتصرف

الله

اموال الا في عباده الله وطاعته له ومنها ان النبي لا يورث ولو كان ملكا فاورث الانبيا لا يورثون فاذا كان ملوك الانبيا لم يكونوا ملاكا كما ملك الناس اموالهم فكيف يكون صفوة الرسل الذي هو عبد لله رسولا ملاكا ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفق على نفسه وعياله قوت الحاجه ويصرف سائر المال في طاعة الله لا يستفضله وليست هذه حال الملاك بل المال الذي يتصرف فيه كذلك هو مال الله ورسوله معنى ان الله امر رسوله ان يصرف ذلك المال في طاعته فبحيط طاعته في جميع ما امر به كما يجب طاعته في سائر ما يؤمر به فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وهو في ذلك مبلغ عن الله والاموال التي كان يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين منها ما تتعين مستحقه ومصرفه كالموارث ومنها ما يحتاج الى اجتهاده وتعذره وآرائه فان ما امر الله به بحد وذاته الشرع كالصلوات الخمس وطواف الاسبوع بالبيت وسنة ما يرجع في قدره الى اجتهاد المامور فيزيده وينقصه بحسب المصلحه التي يحسها الله فمن هذا ما انفق على الناس ومنه ما ينوعوا فيه كتنازع الفقها في ما يخص الزوجات من النفقات هل مقدره بالشرع او يرجع فيها الى العرف فيختلف في قدرها وصفتها باختلاف احوال الناس وجهدهم الفقها على القول الثاني وهو الصواب كقول النبي صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف وقال ايضا في خطبته المعروف قد للنساء كسوتهن ونفقتهن بالمعروف وكذلك تنازعوا ايضا فيما يجب من الكفارات هل هو مقدر بالشرع او بالعرف فما اضيف الى الله والرسول من الاموال كان المرجع في قسمته الى امر الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يخالف ما تقتضي مستحقوه كالموارث ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر للسرايا مما افا الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم اي ليس لاحد من المقسم الذين يرجع فيه الى اجتهاده وخطه الخاص الا الخمس ولهذا قال وهو مردود عليكم بخلاف اربعة اخماس الغنيمة فانه لمن شهد الوقعه ولهذا كانت الغنائم تقسم الامر بين الغانمين والخمس يرفع الى الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته فيقسمونها بما مزم واما اربعه الاخماس فما يرجعون فيها الى علم وحكم الله ورسوله كما يستفتى المستفتي وكما كانوا في الجد والمعزوفه الامر الشرعي والنبي صلى الله عليه وسلم اعطى المولفه قلوبهم من غنائم حنين ما اعطاهم وقال ان ذلك كان من الخمس وقيل انه كان من اصل الغنيمه وعلى هذا القول فهو فعل ذلك لطيب نفوس المولفين بذلك ولهذا اجاب من عيب الانصار لما زال عنه وارادهم



عن ذلك ومن الناس من يقول الخمسه قبل القسمه لربما كها الغانمون وان الامام ان يتصرف فيها باجتهاده كما هو مذكور في غير هذا الموضع فان المقصود هنا بيان ان حال العبد المخلص لله الذي يعبده ويستعينه فعل الله ويستعينه وتحقيق قوله اياك نعبد واياك نستعين توحيد الالهيه وتوحيد الربوبيه وان كانت الالهيه تتضمن الربوبيه والربوبيه تستلزم الالهيه فان احدهما اذا تضمن الاخر عند الاقتران كما في قوله قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس وفي قوله الحمد لله رب العالمين جمع بين الاسمين اسم الاله واسم الرب فان الاله هو المعبود الذي يستحق ان يعبد والرب هو الذي يربي عبده فيربيه ولهذا كانت العباده متعلقه باسم الله والسؤال متعلقا باسم الرب فان العباده هي الغايه التي لها خلق الخلق فالالهيه هي الغايه والربوبيه تتضمن خلق الخلق واسلامهم فهو منهم انما اجالهم والمصلي اذا قال اياك نعبد واياك نستعين فقد بدا بالمقصود الذي هو الغايه على الوسيله التي هي العباده فالعباده غايه مقصوده والاستعانه وسيله اليها تلك حكمه وهذا سبب والعرف بين العلة الغايه والعلة الفاعليه معروف ولهذا يقال اول الفكره آخر العمل وآخر الدرك فالعلة الغايه متقدمه في المقصود والاراده وهي متاخره في الوجود فالمعنى نقصد عباده الله ابتداء وهو يعلم ان ذلك لا يحصل الا باعانته فيقول اياك نعبد واياك نستعين ولما كانت العباده متعلقه باسم الله جاز الامران المشروع عند هذا الاسم مثل كلمات الاذان الله اكبر الله اكبر ومثل الشهادتين اشهد ان لا اله الا الله ومثل التسبيح بعد الصلاة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واما السؤال فمقصوده ما يحتاج اليه العبد من امر ربه كقول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال نوح رب اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقول الخليل رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال نوح رب اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقول الخليل رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال نوح رب اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم وقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقول الخليل رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

ولكن يدعوا بما دعت به الانبياء رسالة تعالى عنه العبني في العنبه وقال تعالى
عن ولي الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار الايات فاذا سبق الي فصل العبد فصل السؤال بان
ان يسأله باسم الرب وان يسأل باسم الله لتضمنه اسم الرب كان حسنا واما اذا سبق
الي قلبه فصل العباده فاسم الله اولى بذلك وكذلك اذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله واذا
قصد الدعاء دعا باسم الرب ولهذا قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وقال ادم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
فان يونس عليه السلم ذهب مغاضبا وقال تعالى واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت وقال تعالى فالتقمه الحوت وهو ملوم فعمل ما يلام عليه فكان المناسب لحاله
ان يبدأ بالثناء على ربه والاعتراف بانه لا اله الا هو وهو الذي يستحق ان يعبد دون
عبده فلما بطاع الهوى فان اتباع الهوى يضعف عباده الله وجزه وقد روي ان يونس
عليه السلم ناداه من ارتفاع العذاب عن قومه بعد ان ظلهم وخاف ان يشبهوه الملك
فغاضب وفعل ما اقتضى الكلام الذي ذكره الله تعالى وان الهال لا اله الا انت وهذا
الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الاهيه سوى فان ردلك هوى النفس وطاعته
الخلق او غير ذلك ولهذا قال سبحانك اني كنت من الظالمين والعبد يقول مثل هذا
الكلام فيما يظنه وهو غير مطابق وفيما يبديه وهو غير حسن واما ادم عليه السلم
فانه اعترف اولا بذنبه فقال ربنا ظلمنا انفسنا ولم يذكر عند ادم من ازالة الارادة
لما امره الله به ما يزاحم الالهيه بل ظن صدق السيطان الذي قاسمهما اني لكما من
الناصحين فلا هما بغرور فالشيطان غرهما واطمع نفسهما فاكلا فزال عنهما قبول
غروره وما اظهرته من نصحه جاهلهما فناسبا الفوا فعارضا ظلمنا انفسنا لما حصل
من التفريط لاجل هوى وحظ نزاحم الالهيه وكانا محتاجين الى ان يلهما توبته
تكمل عليهما وفصلها حتى يعقل مثل ذلك فلهما استغفرا ان حاجتهما الى الله ربهما
الذي لا بقضي حاجتهما غيره وذو النون سهد ما حصل من التقصير في حق
الالهيه ما حصل من المعاصيه وكراهة الجنا او لبك في ذلك من المعارضة لفعل
لحب سي اخر ما يوجب لحزيد محبته لله ونا لهه له وان يقول لا اله الا انت فان
قول لعبد لا اله الا انت تجوا ان تتخذ الهه هواه وقد روي ما لحت
ادم السما اليه بعبد عظم عند الله من هوى متبع وكمل يوسف صلوات الله عليه
تحقيق الهيته لله ومحوا لهوى الذي تتخذ الهه من دونه فلم يقوله صلوات الله عليه

وسلامه ارادة تزاحم الهته الحق بل كان مخلصا لله الذين اذكان من افضل عباد الله
المخلصين وايضا فمثل هذا الحال يعترض لمن يعرض له فينبغي نوع مفاضته للقلب
ومعارضته له وخلقه وامره وسؤاله وحكمته ورحمته فيحتاج العبد ان يتبين عنه
شيئين الاراء الفاسده والاهوا الفاسده فيعلم ان الحكمة فيما اقتضاه علمه وحكمته
لا فيما اقتضاه علم العبد وحكمته ويكون هواه تابعا لما امر الله به فلا يكون له مع
امر الله وحكمه هوى مخالف لذلك قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد روي عنه صلى الله عليه
انه قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به
وفي رواية لما جئ في الصحيح ان عمر قال له يا رسول الله والله لانت احب الي
من كل شيء الا نفسي قال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك قال فوالله لانت احب الي من نفسي
قال الان يا عمر وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن احدكم حتى اكون احب
اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا فاذا كان الايمان لا يحصل حتى يحب
العبد رسوله وسلم الله ويكون هواه تبعا له لما جاء به ويكون الرسول احب اليه من الجهاد في سبيله
مقدما على حب الانسان نفسه وماله واهله فكيف بحكم تعالى والسلم له فمن رأى يوما
يستحقون العذاب في باطنه وهو غير مطابق فيما يبديه وهو غير حسن واما ادم عليه السلم
فانه اعترف اولا بذنبه فقال ربنا ظلمنا انفسنا ولم يذكر عند ادم من ازالة الارادة
لما امره الله به ما يزاحم الالهيه بل ظن صدق الشيطان الذي قاسمهما اني لكما من
الناصحين فلا هما بغرور فالشيطان غرهما واطمع نفسهما فاكلا فزال عنهما قبول
غروره وما اظهرته من نصحه جاهلهما فناسبا الفوا فعارضا ظلمنا انفسنا لما حصل
من التفريط لاجل هوى وحظ نزاحم الالهيه وكانا محتاجين الى ان يلهما توبته
تكمل عليهما وفصلها حتى يعقل مثل ذلك فلهما استغفرا ان حاجتهما الى الله ربهما
الذي لا يقضي حاجتهما غيره وذو النون سهد ما حصل من التقصير في حق
الالهيه ما حصل من المعاصيه وكراهة الجنا او لبك في ذلك من المعارضة لفعل
لحب سي اخر ما يوجب لحزيد محبته لله ونا لهه له وان يقول لا اله الا انت فان
قول لعبد لا اله الا انت تجوا ان تتخذ الهه هواه وقد روي ما لحت
ادم السما اليه بعبد عظم عند الله من هوى متبع وكمل يوسف صلوات الله عليه
تحقيق الهيته لله ومحوا لهوى الذي تتخذ الهه من دونه فلم يقوله صلوات الله عليه

ما امرنا بكراهته من الموجودات

وقال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وقال آمن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله
وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الخ الى غير ذلك من الآيات وانهم اتصفوا
ومعصومين كما عصم الانبيا ولو كانوا اولياء الله ولهذا من سب نبيا من الانبيا

**فصل** بانفاقا الفقها ومن سب غيرهم لم يقتل وهذه العصمة الثابتة للانبيا
هي بها تحصل مقصود النبوة والرسالة قال النبي هو المنبئ عن الله والرسول هو
الذي ارسله الله تعالى وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا والعصمة فيما يتعلق
عن الله تابته فلا يستقر في ذلك خطا بالفاق المسلمين ولكن هل يصدر ما يسد ذريعة
الله فيسير ما يلقي الشيطان ويحكم الله انه هذا فهو كذلك والمأثور عن السلف
يوافق المعقول على ذلك والذين منعوا ذلك من المتاخرين طعنوا فيما يتقام من الزيادة في سنوره
الخ بقوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وقالوا ان هذا لم يثبت
ومن قاله انه ثبت فالهذا القاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول صلى
الله عليه وسلم ولكن السوال على هذا وارد على قول النقيد ايضا وقالوا في قوله
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته هو حديث النفس واما الذين قرروه وما ينقل
عن السلف فقالوا اهل المقول لفظا لا يمكن الفتح فيه والقرآن يدل عليه بقوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم وقالوا الا اذا تمنى وقع في امنيته ما القاه
معتمدا فيه انه في حسب النفسير والحديث والقرآن يوافق ذلك فان تمنى القى الشيطان
الشيطان واحكامه اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
اياته بعينها وجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
انما يكون ذلك ظاهرا لسمعة الناس لا باطنا في النفس والفتنة التي تحصل بهذا
النوع من الشيخ من جلس الفتنة التي تحصل بالنوع الاخر من الشيخ وهذا النوع يدار على اصل
الرسول وبعده عن الكذب مزيد ذلك النوع فانه اذا كان يامر بامر ثم يامر بامر يخالفه ويكلاهما
من عند الله وهو صادق في ذلك فاذا قال عن نفسه ان الثاني هو الذي امر من عند الله وهو
الناسخ وان ذلك المرفوع الذي نسخه الله لبس كذلك كان ذلك دليلا على اجتهاده
للصدق وقوله الحق وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها لو كان محمد كاتما شيئا من
الوحي لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
الآية وان الذي يعظم نفسه تاليا لطلب ان يشرك كل ما قاله ولو كان خطا فبان
الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله احكم اياته وينسخ ما القاه الشيطان ويدل على



تحرز به للصدق وبرأ انه من الكذب وهذا هو مقصود الرسالة فانه الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم تسليما وهذا كما تكذب به طائفة خطأ محضا بالارب واما

**العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة** فللناس فيه نزاع
هو ثابت بالعقل والسمع ويشارعون في العصمة من الكبائر او الصغائر
او من بعضها او هل العصمة انما هي في الاقرار عليها لا في فعلها او الكلام في القول
بالعصمة الا في التبليغ فقط وهل تحصل العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث
او لا والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والقول الذي عليه جمهور
الناس وهو الموافق للاثار المنقولة عن السلف انها العصمة من الاقرار على الذنوب
مطلقا والرد على من قال انه يجوز اقرارهم عليها وهو القائل بان العصمة اذا اجتنبت
امانة ذلك على هذا القول وهو الصحيح وقوع ذنب اقر عليه الانبياء
قال القائلون بالعصمة **اجتمعوا** بانا لنا نهم مشروع وذلك لا يكون مع
يجوز كون الافعال ذنوبا **ومعلوم ان الناس انما** هو مشروع فيما اقروا عليه
دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما ان الامر والنهي انما حاجة طاعتهم فيما لم يشرع منه
فاما ما شرع من الامر والنهي فلا يجوز جعله ما مورا به ولا منهيا عنه فضلا عن وجوب
اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما اجتمعوا انه من الذنوب تنافي الكمال وانها
ممن عظمت عليه النعمة اقبح انها توجب التنفير والخوف لذلك من اتباع العقلية
فهذا انما يكون مع البقا على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبة النصوح التي
يقبلها الله يرتفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف
كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة وقال آخر
لو لم يكن التوبة احب الا شيء اليه لما ابتلى بالذنوب اكرم الخلق عليه وقيل
والصحاح حديث التوبة لله افرح بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على
راحلته بارض فلاة فانفلت منه راحلته وعليها طعامه وشرابه فايس منها
فاتى شجرة فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده
فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا
من شدة الفرح وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وفي حديث ابي موسى الذي منه وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء الليل
بالنهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء النهار حتى تطلع الشمس من مغربها وقد قال تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك

يبدل الله سيئاتهم حسنات وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعذر الله صغار ذنوبه
وتخاص عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر فيقول الله له اني قد غفرتها لك
وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول اي رب لي سيئات لم اراها فاذا راى
تبديل السيئات بالحسنات طلبت نزوبه الذنوب الصغار الذي ظن مشفقا منها
ان تظهر ومعلوم ان حال الهذع مع النبي بالعظم من حال الذي ظن مشفقا منها
التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير ان العبد ليعمل
الحسنة فيدخل بها الجنة وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل
الحسنة فيعجب بها وتفخر بها حتى تحمله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه
منها وتوبته منها حتى يدخله الجنة وقال تعالى وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما فغايته ان يكون من
المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب
التي انزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما لا يحصى احصاؤه والمراد من
ذلك كله انا لو انا لك مثل اوبال الجهمية والقدرية والمعتزلة كنصوص الاسماء
والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهي من جلسل وبلات القرامطة الباطنية
التي يعلم بالاضطرار بطلانها وانها مباينة لجميع اصول الكلام عن مواضعه وهو كل
بعض احد هؤلاء بعظم الانبياء فيقع في تكذيبهم وترك الايمان بهم فيقع في الكفر بهم ان
العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهي العصمة في التبليغ لم تقتض
بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما يقتضيه الانبياء وما يقرون بلفظ حق وله معنى باطل
وكانوا فيه كالامين الذي لا يعلم ان الكتاب الامانة والعصمة التي ادعوها
لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولاجاجه بهم اليها فانها منتفية بغيرهم كما امروا بالايمان
به فنحكم اجمع على الانبياء بغير سلطان من الله وبما يخالف عليه من اضل من الانبياء
وطاعنهم وهو الذي تحصل السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى وقال تعالى فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون وقال تعالى ليزيدوا اثما مع اثامهم
وقال تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم وقال تعالى ان الذين
كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل
منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم
عذاب مقيم وقال تعالى ان الذين كفروا بايات ربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد وقال تعالى
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا وقال تعالى ان الذين
كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا وقال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
فلن يغفر الله لهم وقال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار اولئك لا يغفر الله
لهم وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار اولئك
لا يغفر الله لهم وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار
اولئك

وكاسمع كلامه ولا رآه ولكن لما ظهرت براءته في عبدته كما قالت امرأة العزيز ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي لم اخنه في حال غيبته وان كنت في حال شهود مراوده
فجنسه قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين
وقال كثير من المفسرين ان هذا من كلام يوسف ومنهم من لم يذكر
الا هذا القول وهو قول في غاية الفساد ولا دليل على الاول له بل الادلة تدل على نقيضه
وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان ما تضمنته فصله
الثاني من مما يلام عليه كله مغفور له الله به حسنات ورفع درجات وكان
بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته اعظم درجة منه قبل ان يقع مما وقع قال الله تعالى
واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة
من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فهذا بذلك
على انه لما تاب واجتباه ربه لم يكن مذموما بل كان ربه قد اجتباه وجعله من الصالحين
وهذا بخلاف حال النادم في بطن الحوت فانه قال فالتقمه الحوت وهو مليم فاخبر
الله في تلك الحال مليم وان الذي فعله مما يلام عليه فالملام كان في تلك الحال
كان في حال تنبذ بالعراء وهو سقيم فكانت حاله بعد قوله لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين ارفع من حاله قبل ان يلوث ما كان والاعتبار بكمال النهاية
كما خبر في البداية والاعمال الحسنة بها والله يعلى بخلوا الانسان واخرجه من بطن
امه لا يعلم شيئا علمه فتنقله من حال النقص الى الكمال فلا يجوز ان يعتبر
قول الانسان بما وقع فيه قبل حال الكمال بل الاعتبار بحال الكمال فلا يجوز ان يعتبر
وغيره من الانبياء في حال النهاية حالهم احوال الاجوال ومن هنا غلط من غلط
في تفضيل الملائكة على الانبياء والصالحين فانهم اعتبروا احوال الملائكة على الانسان
مع بداية الصالحين وتقصيهم وغلطوا ولو اعتبروا احوال الانسان والصالحين بعد
دخول الجنان ورضى الرحمن وزوال كل ما فيه نقص وملام وحصول كل ما فيه رحمة
وسلام حتى استقرت بهم القرار والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار فاذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلهم على حال غيرهم من الحالين
فهذا يوزن لعاقل ان يعتبر حال احدهم قبل الكمال في مقام المنع والتفضيل والبراءة
من النقائص والعيوب ولو اعتبر ذلك احدهم وهو نطفة معلقة لم يكن مضغة حتى
فيه الروح ثم هو وليد ثم رضيع ثم فطيم الى احوال اخر فعلم ان الواحد من هذه الحال
لم يقع به صفات الكمال التي يستحق بها كمال المدح والتفضيل فضلا على كل صنف
وجيل والمفاضلة باعتبار المآل عند حصول الكمال وما يظنه بعض الناس



من انه من ولد على الاسلام فلم يكفر قط افضل ممن كان كافرا فاسلم
ليس بصواب بل الاعتبار بالعاقبة فانهما كانا تقيا لله في عاقبته
كان افضل فانه من المعلوم ان السابقين الاولين وسائر المهاجرين والانصار الذين
امنوا بالله بعد كفرهم هم افضل ممن ولد على الاسلام من اولادهم وغيرهم
بل من عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه فقد يكون معرفته بالخير ومحبته لله
ومعرفته بالشر وبغضته له اكمل ممن لم يعرف الخير والشر وذاقهما
ذاقهما الذي لا يعرف الا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف انه شر فلا
ينفع فيه واما ان لا ينكره كما انكره الذي عرفه ولهذا قال عمر بن الخطاب
انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية
كما قال عمر فان كمال الاسلام هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالجهاد
الجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف فلا يعرف غيره فقد لا يكون عنده من
العلم بالمنكر وصورة ما عنده من علمه ولا يكون عنده من الجهاد لاهله ما عند الخبير
بهم ولهذا يوجد الخبير بالشر واسبابه اذا كان حسن القصد عنده من
الاخبار عنه ومنع اهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم
اعظم ايمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكمال محبتهم
وبغضهم للشر لما علموه من حسن حال الايمان والعمل الصالح وقبح حال
الكفر والمعاصي ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والحوج واجر
على الغنى والصحة والامن ممن لم يذق ذلك ولهذا نفاك والضد يظهر حسنه الضد
ويقال وبضدها تبين الاشياء وكان عمر الخطاب يقول
ليست الخبيثة ولا الخبث حتى يعلم الطيب السليم المحمود هو الذي يريد الخير
لا الشر وكمال ذلك بان يعرف الخير والشر فاما من لا يعرف الشر
فذلك نقص فيه لا ممدوح به وليس المراد ان كل من ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون
اعلم بذلك واكمله ممن لم يذقه مطلقا فان هذا ليس مطردا بل قد يكون
الطبيب اعلم بالامراض من المرضى والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
اطباء الاديان وهم اعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها وان كان احدهم لم يذق
من الشر ما ذاقه الناس ولكن المزاج ممن حصل له ذوقه للشر من المعرفة
به والنفور عنه والمحبة للخير اذا ذاقه ما لا حصل لبعض الناس ممن كان مشركا
او يهوديا او نصرانيا وعرف ما في الكفر من الشبهات والاقوال الفاسدة
والظلم والشر ثم شرح الله صدره للاسلام وعرفه محاسن الاسلام

فانه يكون زعف فيه واكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والاسلام
بل هو معترض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا او مقلد في مدح هذا وذم هذا
**ومثال ذلك** من ذاق طعم الجوع ثم ذاق الشبع يعرف ذاق
العافية يعرف او ذاق الخوف ثم ذاق الامن بعده فان محنته في هذا وتجربته في العافية
والامن والشبع ونفوره عن الجوع والخوف والمرض اعظم من تجربة من لم يبتل بذلك ولم يعرف
حقيقته وكذلك من دخل مع اهل البدع والفجور ثم تاب الله الحق ووفاه عليه نوبة
نصوحا وتزوده الجهاد في سبيل الله فقد يكون سائله لحالهم وخبره بمساويهم وجهاده
لهم اعظم من غيره قال نعيم بن حماد المخرمي شيخ البخاري وكان سنيا على الجهمية
انا شد الله عليهم لاني كنت منهم وقد قال تعالى والذين هاجروا من بعد
ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في
طائفة من اصحابه كانوا المشركون فتنوهم عن دينهم بمكة فعذبوهم فهاجروا الى الله ورسوله
وجاهدوا وصبروا وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد من اشد الناس
على الاسلام فلما اسلما نفقت ما على من سبقهما الى الاسلام وكان دوامهما على الايمان والعمل
الصالح بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر لله ورسوله وكان
عمر لكونه اكمل ايمانا واخلاصا وصدقا ومعرفة وفراسة ونورا اتعب عن هوى
النفس واعلاها همة في قامة دين الله مقدما على سائر المسلمين غير ابي بكر رضي الله عنهم
اجمعين وهذا وغيره مما يتبين لك الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية
**ومسألة كرر في الاسئلة** ان الله قال لداود عليه السلام اما الذنب
فقد غفرته واما الود فلا يعود وهل الوعد في صحيفة لا يمحى شرعنا لنا
وليس لنا ان نبني على هذا **فان** دين محمد صلى الله عليه وسلم **قد نسخ**
**جاء** بما لم يجيء به شرع من قبله ولهذا قال انا نبي الرحمة وانا نبي التوبة
وقد رفع به من الاصار والاغلال ما كان على من قبلنا وقد قال تعالى في كتابه ان الله
يحب التوابين ويحب المتطهرين واخبر تعالى انه يفرح بتوبة التائب اعظم من
فرح الفاقد لما يحتاج اليه من الطعام والشراب والمراكب اذا وجده بعد اياس
فاذا كان هذا فرح الرب بتوبة التائب وذلك محبته كيف يقال انه لا يعود لمودته
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ولكن مودته وحبه
بحسب ما يتقرب اليه العبد بعد التوبة فان كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة
افضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة اعظم من مودته له قبل
التوبة وان كان نقص كان الامر انقص فان الجزاء من نفس العمل وما ربك بظلام للعبيد



وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا
فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن
سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض
نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه ومعلوم ان افضل
الاولياء بعد الانبياء هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار كانت محبة الرب
لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان اعظم محبته ومودته وكلما
تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض احبهم ووده وقد قال الله تعالى عسى الله ان
يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم نزلت بين المسلمين
الذين عادوا الله ورسوله من اهل الاجراب كابي سفيان بن حرب وابي سفيان بن الحرث
والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وغيرهم
فانهم بعد معاداتهم الله ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسول والمؤمنين مودة وكانوا
في ذلك متفاضلين فكان عكرمة وسهيل والحرث بن هشام اعظم مودة من
ابي سفيان بن حرب وقد ثبت في الصحيح ان هند امرأة ابي سفيان قالت معوية
فقال والله يا رسول الله ما كان على وجه الارض من اهل خباء احب الي ان يذلوا من اهل خبائك وقد اصبحت وما على وجه الارض من اهل خباء احب الي ان يعزوا من اهل خبائك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كذلك **ومعلوم** ان الود والمحبة التي بين المؤمنين
انما تكون تابعة لمحبتهم لله قال وثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله
فالحب في الله من تحقيق التوحيد والحب مع الله شرك قال تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله فكل
مودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين انما كانت مودة
لله ومحبة ومن احب الله احبته الله ومن والى الله والاه الله فعلم انهم احبوهم وودهم
بعد التوبة كما احبوه وودوه فيقال **فان قال فانك** اولا كنتم كفارا لم يعزموا ان يفعلوا
دون المودة **وان قال** بل كانوا كفارا لم يعزموا ان يفعلوا فعاودوا مجرم
بل كانوا تائبين **قيل الجواب** من وجهين احدهما ان العلم بحال من علم ان الفعل محرم وانه
من وجهين احدهما ان العلم بحال من علم ان الفعل محرم وانه
رسول الله ويعاديه ويقاتله حسدا وكبرا **وابو سفيان** قد سمع من اخبار نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يسمع غيره كما سمع من امية بن ابي الصلت وما سمعه

وما سمعه من هرقل ملك الروم وقد اخبر عن نفسه انه لم يزل موقنا ان امر النبي
صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى ادخل الله عليه الاسلام وهو كارة له وقد سمع منه
عام البرموك وغيره ما دل على حسن اسلامه ومحبته لله ورسوله بعد ذلك لعداوة
العظيمة وقد قال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله
الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه
مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فاذا
كان الله يبدل سيئاتهم حسنات فالحسنات توجب مودة الله لهم ويبدل السيئات
حسنات ليست مختصة بمن كان كافرا وقد قال تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وقال تعالى
سال اصحاب رسول الله عن هذه الاية ففتا لوا الى كل من عصى الله فهو جاهل وكل
من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب **الوجه الثاني** انا قد ذكرنا ان
التاب والتائب يفرح بتوبة التائبين سواء كانوا عالمين او جاهلين بان ما اتوه
ذنبا او لم يكونوا عالمين بذلك ومن علم ان ما اذنب منه تائب فلا بد ان يبدل وصفه
المذموم بالمحمود فاذا كان يبغض الحق فلا بد ان يحبه واذا كان يحب الباطل فلا بد
ان يبغضه فما تاب اليه التائب من معرفته بالحق ومحبته والعمل به ومن بغض الباطل
واجتنابه هو من الامور التي يحبها الله تعالى ويرضاها ويحبه الله لذلك يحب ما تاب به
العبد من محبة ما يحبه فضل من كان اعظم فعلا للحق وكان الحق اعظم محبة لله وانتقاله من
مكروه الحق الى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه من الباطل وقوة ما اشغله الله من
الحق توجب زيادة محبته للحق ومودته اياه بل قد قال الله سبحانه يحسنات فان الجزاء
من جنس العمل وحسنه فاذا كان التائب مما يحبه الحق اعظم من انسان غيره
كانت محبته للحق اعظم واذا كان فعله مما تودده الله منه اعظم من فعله له قبل التوبة
كانت مودة الله بعد التوبة اعظم من مودته له قبل التوبة وكيف يقال الود لا يعود
وهذا بطهر جواب سهلة من يقول ان لا يبعث بنيا الامر كان معصوما
قبل النبوة كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم وكذلك من قال
انه لا يبعث نبيا الا من كان مؤمنا قبل النبوة فان هؤلاء توهموا ان الذنوب
تكون نقصا وان تاب التائب منها وهذا منشا غلطهم فمن ظن ان صاحب
الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما فان التائب
والعفاب الذي يلحق اهل الذنوب لا يلحق التائب منها شيئا اصلا لكن ان



قدم التوبة لم يلحقه شيء وان اخر التوبة فقد يلحق ما بين الذنوب والتوبة من الذم
والعقاب ما يناسب حاله والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون
التوبة بل يسارعون اليها ويسابقون اليها لا يوخرون ولا يصرون على الذنب
بل هم معصومون من ذلك ومن اخر ذلك زمانا كغفر الله ذلك بما يقتضيه به
كما تفعل بذنب الذنوب صلى الله عليه وسلم هذا على المشهور ان القتاة
كان بعد النبوة **واما من قال** ان القتاة كان قبل النبوة فلا يحتاج الى هذا
**والتائب من الكفر والذنوب** قد يكون افضل والافضل احق بالنبوة
ممن ليس مثله في الفضيلة وقد اخبر الله عن اخوة يوسف بما اخبر
من ذنوبهم وهم الاسباط الذين بناهم الله تعالى وفي قال تعالى فامن له لوط وقال
اني مهاجر الى ربي فامن لوط لابرهيم ارسله الله الى قوم لوط وقال تعالى
في قصة شعيب قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال ولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وانت خير الفاتحين وقال تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او
لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك
لمن خاف مقامي وخاف وعيد فهذا عرف ان الاعتبار بكمال النهاية وهذا
الكمال انما يحصل بالتوبة والاستغفار ولهذا كان كل عبد من التوبة وهي واجبة على الاولين
والاخرين كما قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما وقد اخبر الله بتوبة
ادم ونوح ومن بعدهما الى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم واخبر ما انزل عليه
ومن اخبر ما انزل عليه قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وفي الصحيحين عن
عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وقد انزل عليه قبل ذلك
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم
وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول يا ايها الناس توبوا

الى ربكم فوالذي نفسي بيده اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وفي صحيح مسلم عن الاغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يغان على قلبي واني
لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي السنن عن ابن عمر انه قال كنا نعد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في المجلس الواحد رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور مائة
مرة وفي الصحيحين عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اغفر لي
خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي
وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت على كل شيء قدير وفي الصحيحين عن
ابي هريرة انه قال يا رسول الله اراك سكوتا بين التكبير والقراءة ماذا تقول قال اقول
اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت
بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم
اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد والماء البارد وفي صحيح مسلم وغيره انه كان
يقول بين هذا اذا رفع رأسه من الركوع وفي صحيح مسلم عن علي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يقول في دعاء الاستفتاح اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي
وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب
الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها الا انت وفي صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه
وجله وعلانيته وسره واخره وفي السنن عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا بايعه ليدعها وانه حمد الله وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون نكبره وحمده ثلاثا قال سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر
الذنوب الا انت ثم ضحك وقال ان الرب يعجب من عبده اذا قال اغفر لي وانه لا يغفر
الذنوب الا انت تقول اعلم عبدي انه لا يغفر الذنوب الا انا وفي السنن قال تعالى
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقد تب في الصحيحين من حديث الشفاعة
المسح يقول اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفي
الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى ترم قدماه فيقال له لم تفعل هذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن
الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة لكن المنازعون بيننا ولون هذه



النصوص من جنس اباطيل الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف في هذا
الباب وناول بالناس تنبيه لمن لم تدر بها انها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه
كما تأول بعضهم قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر المقدم
ذنب آدم وان المتأخر ذنب امته وهذا معلوم البطلان وبدلت
على ذلك وجوه احدها ان آدم قد تاب الله عليه قبل ان ينزل الى الارض
فضلا عن عام الحديبية الذي انزل الله فيه هذه السورة قال تعالى
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه وقال انه هو التواب الرحيم وقد ذكر انه قال
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الثاني
ان يقال فاذا عندكم من حمله موازرة اخرى لا يحتاج ان يغفر له ذنبه عندكم
المانع فانه نبي ايضا وقال انه لم يقصد قط الا الى طاعة الله وذنب يقول ذلك عن آدم
ومحمد وغيرهما الثالث ان الله لا يجعل الذنب ذنبا لمن لم يفعله فانه هو
القابل والآخذ والمثيب والمعاقب فمن امتنع ان يضاف الى محمد صلى الله عليه وسلم
او امته او غيرهما وقد قال تعالى فاما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقال تعالى
فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك ولو جاز هذا لجاز ان تضاف الى محمد
ذنوب الانبياء كلهم ويقال ان قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر المراد ذنوب الانبياء وامتهم فلك فانه يوم القيمة شفيع الخلائق
كلهم وهو سيد ولد آدم ولا فخر وقال انا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه
تحت لوائي يوم القيمة انا خطيب الانبياء اذا وفدوا واما مهم اذا اجتمعوا
وحينئذ فلا يختص آدم باضافة ذنبه الى محمد بجعله ذنوبا لاولاده والاخر
على قول هؤلاء ذنوبا له فان قال ان الله لم يغفر ذنوب جميع الامم
قيل وهو ايضا يغفر ذنوب جميع امته الوجه الرابع انه قد تبين
ان ذنبه وذنب المؤمنين بقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فكيف يكون
ذنب المؤمنين ذنبا له الوجه الخامس انه قد ثبت في الصحيح ان هذه
الآية لما نزلت قال الصحابة يا رسول الله هذا لك فما لنا فانزل الله تعالى هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فذكر ذلك على
ان الرسول والمؤمنين علموا ان قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
مختص به دون امته الوجه السادس ان الله لم يغفر جميع ذنوب امته
بل قد تبين ان من امته من يعاقب بذنوبه اما في الدنيا واما في الآخرة وهذا
مما تواترت به النقل واخبر به الصادق المصدوق واتفق عليه سلف الامة وائمتها

وشوهد في الدنيا من ذلك ما لا يحصيه الا الله وقد قال تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به والتوبة والاستغفار قد يكون من ترك الافضل الى ما هو افضل منه كما كان عليه قبل ثوب من الحال الاول لكن الذم والوعيد لا يكون الا على ذنب **فصل** واما قول الطائفة الاولى الاعتراف بالخطيئة مجرده مع التوحيد موجب لغفرانها وكشف الضر به الصادر امر يحتاج الى شيء اخر **فجوابه** ان الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المامور بها فان الشرك لا يغفره الله الا بتوبة كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فموضع من القرآن ومادون الشرك وهو مع التوبة مغفور وبدون التوبة معلق بالمشيئة كما قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة فاذا كان الشرك لا يغفر الا بالتوبة واما ما دونه فيغفره الله للتائب وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد ان كان مضمنا للتوبة اوجب المغفرة واذا اقتضى الذنب استحقاقه العقوبة فان المغفرة هي وقايته شر الذنب ومن الناس من يقول الغفر الستر ويقول اسامي المغفرة والغفران لما فيه من معنى الستر وقد سمى الله الغفار بانه الستار وهذا تقصير في معنى المغفرة فان المغفرة معناها وقايته شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه واما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن ومن عوقب على الذنب باطنا او ظاهرا فلم يغفر له وانما يكون غفران الذنب اذا لم يعاقب عليه المغفور المستحق بالذنب واما اذا فعل مع ذلك ما يكون سببا في حقه لزيادة اجر فهذا لا ينافي المغفرة وكذلك اذا كان من تمام التوبة ان يأتي بالحسنات بفعلها فانما تشترط في التوبة من تمام التوبة وقد يظن الظان انه تائب ولا يكون تائبا بل يكون تاركا والتارك غير التائب فالله قد يعرض عن الذنب لعدم خطوره بباله او المقتضي لمحوه عنه او ينوي اراذته له بسبب غير ذنبي وهذا ليس سؤلي بل لا بد ان يفعل له سببه ويكره فعله لنهي الله عنه ويكره عدم الله تعالى لزعمه مخلوق ولا لزهده مخلوق فان التوبة من اعظم الحسنات والحسنات كلها يشترط فيها الاخلاص وموافقة امره كما قال الفضيل بن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه



قال اخلصه واصوبه قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة وكان عمر يخطب يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل فيه لاحد فيه شيئا وبسط الكلام في التوبة له موضع اخر **واما الاعتراف بالذنب** على وجه الخضوع لله من غير اقلاع عنه فهذا في نفس الاستغفار المجرد الذي لا توبة معه وهو كما لو يسأل الله تعالى ان يغفر له الذنب مع كونه لم يتب منه وهذا لا يؤيس من رحمة الله ولا يقطع بالمغفرة له فانه داع دعوة مجرده وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه قال ما من داع يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا كان بها احد ثلث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر له من الخير مثلها واما ان يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله اكثر فمثل هذا الدعاء قد يحصل معه المغفرة وان لم يحصل فلا بد ان يحصل به صرف شر اخر او يحصل خير اخر فهو نافع كما ينفع كل دعاء **وقول** كل من قال من العلماء الاستغفار مع الاصرار توبة الكذابين فهذا اذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة او يدعي انه يستغفره توبة وانه تائب بهذا الاستغفار فلا ريب انه مع الاصرار لا يكون تائبا فان التوبة والاصرار ضدان **والاصرار** يضاد التوبة لكن لا يضاد الاستغفار بدون التوبة **وقول القائل** هذا الاعتراف بالذنب المعين موجب رفع ما حصل بذنوب متعددة امحاه بدون استحضار جميع الذنوب **فجواب هذا** مبني على اصول احدها ان التوبة تنفع من ذنب مع الاصرار على ذنب اخر اذا كان المقتضي للتوبة من احدهما اقوى من المقتضي للتوبة من الاخر او كان المانع من احدهما اشد وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف وذهب طائفة من اهل الكلام كابي هاشم الى ان التوبة لا تصح من قبيح مع الاصرار على الاخر قالوا لان الباعث على التوبة ان لم يكن خشية الله لم تكن توبة صحيحة والخشية ما بعده من جميع الذنوب لا من بعضها وحكى القاضي ابو يعلى وابن عقيل هذا رواية عن احمد لان الترمذي نقل عنه انه سئل

عمن تاب من الفاحشة وقال لو مرضت لم أعد لكن لا يدع النظر فقال احمد
اي توبة ده وقال حرب بن عبيد الله سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
نظرة الفجاءة فقال اصرف نظرك والمعنى وفاعن احمد وسائر الائمة
هو القول بصحة التوبة واحمد في هذه المسئلة انما اراد ان هذه ليست توبة
عامة تجعل سببها من الذنوب توبة مطلقا لم يرد ان ذنب هذا كذنب المصر
على الكبائر فان نصوصه المتواترة عنه واقواله الثابتة تنافي ذلك وحمل كلام
الامام احمد على ما يصدق بعضه بعضا اولى من حمله على التناقض سيما اذا كان
القول الآخر مبتدعا لم يعرف عن احد من السلف واحمد يقول اياك ان تتكلم
في مسئلة ليس لك فيها امام وكان في الجملة يقول كيف اقول ما لم يقل
اتباع احمد السنة والآثار وقوة رغبته في ذلك وكراهته لخلاف ما من الامور المتواترة
عنه بعرف فيها من يعرف حاله من الخاصة والعامة وما ذكروه من الحسنة توجب
العفو فجوابه انه قد تقدم ان احد الامرين دون الآخر وانما يثبت مما يعلم فتحه
وايضا فقد يعلم فتحها ولكن هواه يغلبه في احدهما دون الآخر فيتوب من هذا
دون ذاك كما اذا كمل بعض الواجبات دون بعض فان ذلك يقبل منه وايضا
فقد يكون عقوبة احد الفجور اشد فيكون كراهته اقوى فيتوب منه وفي الجملة
ترك الذنب قد يكون داعيه وقد يكون لقوة الزاجر عنه وهذا يختلف باختلاف
الذنوب ولكن المعتزلة لهم اصل فاسد وقعوا فيما فيه الخوارج في الحكم وان خالفوهم
فيه في الاسم فقالوا ان اصحاب الكبائر يخلدون في النار كما يخلدون منها
ينفعهم بعضهم بعضا وعندهم يمتنع ان يكون للرجل الواحد من طاعة الله عليها
ما يثيبه ولهذا يقولون يحبط جميع الحسنات بالكبيرة واما
الصحابة واهل السنة والجماعة فعلى ان اهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع
فيهم وان الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات ولكن تحبط ما يقابلها عند اكثر
اهل السنة ولا تحبط جميع الحسنات الا الردة كما لا تحبط جميع السيئات الا التوبة
وصاحب الكبيرة اذا اتى بحسنات يبتغي بها وجه الله تاب الله على ذلك وان كان
مستحقا للعقوبة على كبيرته وكتاب الله عز وجل يفرق بين حكم السارق والزاني
وقال الله منهم بعضهم بعضا وبين حكم الكفار في الاسماء والاحكام والسنة المتواترة
عن النبي صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة يدل على ذلك كما هو مبسوط في غير هذا
الموضع وعلى هذا نازع الناس في قوله اما يتقبل الله من المتقين فعلى قول



الخوارج والمعتزلة لا يقبل حسنة الا من اتقاه مطلقا فلا يثاب كبيره وعند
المرجئة انما يتقبل ممن اتقى الشرك فجعلوا اهل الكبائر داخلين في اسم المتقين
وعند اهل السنة والجماعة يتقبل العمل من اتقى الله فيه فجعله خالصا لله
موافقا لامر الله فمن اتقاه في عمل تقبله منه وان كان مظلما في غيره والتوبة
من بعض الذنوب مثل اسلام بعض الكفار فمن تاب منه غفر له وان لم يغفر له ما
لم يتب منه والتوبة من بعض الذنوب دون بعض كفعل بعض الحسنات المامور
بها دون بعض فالمامور شرط في صحة المفعول كالايمان المشروط وغيره
من الاعمال كما قال تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم
مشكورا وقال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة
وقال ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون **الاصل الثاني** ان من له ذنوب فتاب من بعضها
دون بعض فان التوبة انما تقتضي غفر ما تاب منه **اما** ما لم يتب منه فهو باق فيه على حكم
ما لم يتب منه على حكم من تاب وما علمت في هذا نزاعا الا في الكافر اذا اسلم فان
اسلامه يتضمن التوبة من الكفر فيغفر له بالاسلام الكفر الذي تاب منه
وهل يغفر له الذنوب التي فعلها في حال الكفر ولم يتب منها في الاسلام هذا
فيه قولان معروفان **احدهما** يغفر له الجميع لاطلاق قوله صلى الله عليه وسلم
الاسلام يهدم ما كان قبله رواه مسلم مع قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
ما قد سلف **والقول الثاني** انه لا يستحق ان يغفر له بالاسلام الا ما تاب منه
فاذا اسلم وهو مصر على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم امثاله من اهل الكبائر
وهذا القول هو الذي تدل عليه الاصول والنصوص فان في الصحيحين ان النبي صلى الله
قال له حكيم بن حزام يا رسول الله ارايت امورا كنت اتحنث بها في الجاهلية فقال
من احسن منكم في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن اساء في الاسلام
اخذ بالاول والآخر وقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم
ما كان قبله فقد سلف لا شك في هذا وقد دل على ان من لم يتب عن شيء لم يغفر له ما قد سلف
من غيره وذلك لان القابل لعفوه اذا انتهيت عفوت لك ما تقدم ومن لم يتب لم يقل له ذلك
واذا انتهيت عني غفرت لك ما تقدم منك كما يغفر مثل ذلك في قوله ان تنتهوا يغفر لكم ما قد سلف

انك بالانتهاء عن ذنب يغفر لك ما تقدم من غيره واما قول النبي صلى الله عليه وسلم
الاسلام يهدم ما قبله وفي رواية يجب ما كان قبله فهذا قال لما اسلم
عمرو بن العاص وطلب ان يغفر الله ما تقدم من ذنبه فقال يا عمرو
وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان التوبة تهدم ما كان قبلها
ما تاب منه لا توجب التوبة غفران جميع الذنوب وانما توجب مغفرة
ان الانسان قد يستحضر ذنوبا فيتوب منها وقد يتوب توبة مطلقا لا يستحضر معها

## الاصل الثالث

ذنوبه للذي اكان تائبا منه التوبة العامة فهي تتناول كل ما براءة ذمة الان التوبة
العامة تتضمن عزما عاما على فعل المامور وترك المحظور وكذلك تتضمن ندما عاما
على كل محظور والندم سواء قدر الله من باب الاعتقادات او من باب
الارادات افضل من باب الالام التي يجدها النفس بسبب فعلها لما تضره فاذا اسعفه
الغلب انه فعلها تضره حصل له معرفة بان الذي فعله كان من السيئات وهذا
من باب الاعتقادات وطرا هنه لما كان فعله وهو من جنس الارادات وحصل الاذا
وغم لما كان فعله وهذا من باب الالام كالغموم والاحزان كما ان الفرح
والسرور وهو من باب اللذات ليس هو من باب الاعتقادات ولا ارادات ومن
قال من المتفلسفه ومن اتبعهم ان اللذة هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم وان
الالم هو ادراك المنافي من حيث هو منافي فقد غلط في ذلك فان اللذة والالم
حالان يعرضان ادراك الملايم والمنافي فان الحب لما يلايمه كالطعام المشتهى
مثلا له ثلثة احوال احدها الحب كالشهوة للطعام والثاني ادراك
المحبوب كاكل الطعام والثالث اللذة وهي مغايرة لحاصله بذلك فاللذة
امر مغاير للمشتهى وللذوق والمشتهى بل هي حاصله بذوق المشتهى ليست
نفس ذوق المشتهى وكذلك المكروه كالضرب مثلا فان كراهته شيء
وحصوله شيء اخر والالم الحاصل به ثالث وكذلك ما للعار فرارها منه
الله من النعيم والسرور بذلك فان حبهم لله شيء ما يحصل من المحبوب
شيء ثم اللذة الحاصلة بذلك من ثالث ولا ريب ان الحب مستلزم وطالشعور
المحبوب كما ان الشهوة مستلزم وطه بشعور المشتهى لكن الشعور المستلزم وطي
اللذة غير الشعور المستلزم وطي المحبة فهذا الثاني يستلزم ادراكا وذوقا
وتألما ووجدا ووصالا ولخود لك مما يعبر عنه من ادراك المحبوب
سواء كان بالباطن او بالظاهر فهذا الذوق يستلزم اللذة

والله امر بخشيته الحي باطنا وظاهرا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله
نبيا وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء
لا يحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره
ان يلقى في النار فمن رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا وان وجد حلاوة الايمان حاصلة لمن كان يحبه لله ورسوله
اشد من محبته لغيرهما ومن كان يحب شخصا لله لا لغيره ومن كان يكره ضد ذلك استلزم
الايمان كما يكره ان يلقى في النار فهذا الحب والبغض والكراهة للكفر
وخوف حلاوة الايمان كما استلزم النوع المتقدم ذوق طعم الايمان وهذا
هو الذي ولبسره هو تفسير التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب والانس الحب
الحاصل في القلب بهذا تبحثه ذاك ومنزله ولازمه وهي امور متلازمة فالمؤمن
الله لا بد ان يحب ويذوق والا فمن احب شيئا ولم يذق منه شيئا لم يحد له كالذي
يشتهي الطعام ولم يذق منه شيئا ولو ذاق ما لا يحبه لم يجد له كما ذاقا ما لا يريده
فاذا اجتمع حب الشيء وذوقه حصل اللذة بعد ذلك واذا حصل بعضه وذوق
البعض حصل الالم فالذي يبغض الذنب ولم يفعله لا يندم والذي لا يبغضه
لا يندم على فعله فاذا فعله وعرف ان هذا مما يبغضه ويضره ندم على فعله
اياه وفي المسند عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الندم توبة اذا تبين
هذا فمن تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلها وان
لم يستحضر اعيان الذنوب الا ان يعارض هذا العام معارض توجب التخصيص
مثل ان يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه لقوة ارادته اياه او لاعتقاده
انه حسن ليس فيه فما كان لو استحضره لم يتب منه لعدم ارادته اياه لم يدخل في التوبة
واما ما كان لو حضر بعينه لكان مما تتوب منه فهو في التوبة العامة التي
عليه واما التوبة المطلقة وهي ان يتوب توبة مجملة ولا يستلزم التوبة
من كل ذنب فهذه لا توجب دخول كل فرد من افراد الذنوب فيها
ولا يمنع دخوله كاللفظ المطلق لكن هذا يصلح ان يكون سببا لغفران المعين
كما يصلح ان يكون سببا لغفرانه لخلاف العامة فانها مقتضية للغفران
العام كما تناول الذنوب تناولا عاما وكثير من الناس لا يستحضر عند
التوبة الا بعض المعينات كالفاحشة ومقدماتها وبعض الظلم للانسان

او الولد وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يحب لله عليه في باطنه وظاهره
من شعب الايمان وحقايقه اعظم ضررا عليه مما فعله من بعض الفواحش
فان ما امر الله به من حقايق الايمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقا اعظم
نفعا من نفع بعض الذنوب الظاهرة يحب الله ورسوله فان هذا اعظم
الحسنات الفعلية حتى ثبت في الصحيح انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
رجل يدعى حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم
جلده الحد فلما كثر ذلك منه اتى به مرة فامر بجلده فلعنه رجل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فنهى عن لعنه مع اصراره
على الشرب لكونه يحب الله ورسوله مع انه صلى الله عليه وسلم لعن الخمر
عشره لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة
اليه وبايعها ومبتاعها واكل ثمنها ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين
الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة له وكذلك تكفير المطلق ووعيد المطلق
ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطا بثبوت شروط
وانتفاء موانع فلا يلحق التايب من الذنب بانتفاء المسلمين ولا يلحق من له حسنات
تمحو اسبابه ولا تمحو المشفوع له والمغفور له فان الذنوب تزول بعفو بانها
باسباب التوبة والحسنات الماحية والمصايب المكفرة لكنها
تحصل في عرصات القيمة وتزول ايضا بدعاء المؤمنين كالصلوة عليه وشفاعة
الشفيع المطاع كمن يشفع فيه سيد الشفعاء محمد صلى الله عليه وسلم
تسليما وجيد فاي ذنب تاب منه ازتفع موجبه وما اتيب منه فلا يحرم
الذنوب التي لم يتب منها فالسيئة اذا حصلت بذنوب وتاب بعضها
خفف عنه بقدر ما تاب منه الخلاف ما اتيب منه خلافا لصاحب
التوبة العامة والناس في غالب احوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم
ذلك فان التوبة واجبة على كل عبد في كل حال لانه دايما يظهر له ما فرط فيه
من ترك مامور وما اعتدى فيه من محظور فعليه ان يتوب دايما والله اعلم
واما قول السايل ما السبب في الفرح باتي عند
انقطاع الرجا بالخلق وما الحيلة في صرف القلب عن التعلق بهم وتعلقه
بالله فيقال سبب هذا تحقيق التوحيد توحيد الربوبية

لعن المطلق

تكفير المطلق

وعيد المطلق



وتوحيد الالهية فتوحيد الربوبية انه لا خالق الا الله فلا
يستشفل شيء سواه باجلب امر من الامور بل ما شاء كان وما لم يشا
لم يكن فكل ما سواه اذا افتقر سببا فلا بد له من شريك معاون وضد
معوق فاذا طلب مما سواه احداث امر من الامور طلب منه ما لا يستقل
به ولا تقدر وجمع عليه حتى ما طلب من العبد من الافعال الاختيارية لا يفعلها
الا باعانة الله له وبان يجعل فاعلا لما خلقه فيه من الارادة الجازمة وخلقه له
من القدرة التامة عند وجود القدرة التامة والارادة الجازمة يجب وجود المقدور
فمشيئة الله وحده مشيئة لكل ما يكون فما شاء الله كان وما لم
يشا لم يكن وما سواه لا يشترط ان يشاء شيئا بل ما اراده لا يكون الا
بامور خارجة عن فعل وارادته ان لم يعنه الرب بها لم يحصل مراده ونفس ارادته
لا تحصل الا بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون
الا ان يشاء الله رب العالمين وقال تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاءون
الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد
لهم عذابا اليما وقال ومن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله رب العالمين
اهل التقوى واهل المغفرة والرب الخالق طالب بقلة لما يزيد من
ذلك المخلوق وذلك المخلوق عاجز عنه فهو الذي امن الشرك الذي لا يغفره
الله فمن كمال نعمته واحسانه الى عباده الموحدين ان نفع تحصيل بالهم
بالشرك حتى يصرف قلوبهم الى التوحيد ثم ان وفقه العبد لتوحيد
الالهية حصلت له سعادة الدنيا والاخرة وان كان ممن اذا قيل فيه
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلما كشفنا عنه ضره
مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون وفي
قوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا كان ما حصل له من وحدانيته
محمودا عليه كما احتج سبحانه على المشركين الذين يقرون بانه خالق الكل كما
لم يشركون ولا يعبدونه وحده لا شريك له قال تعالى قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت

كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون
وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل فاني
توفكون وهذا قد ذكر في القرآن في غير موضع فمن تمام نعمة الله على
عباده المؤمنين ان رزقهم من المأكله والمضرة ما يلجئهم الى توحيده
فيدعونه مخلصين له الدين ويوحدونه لا يرجون احدا سواه ويتعلق
قلوبهم به لا بغيره فيحصل لهم من التوكل عليه والانابة اليه وحلاوة
الايمان وذوق طعمه والتبرأ من الشرك ما هو اعظم نعمة عليهم من
زوال المرض والخوف والجدب او حصول اليسر وزوال العسر في
المعيشة فان ذلك لا يأتي دينه ولم يسوه وقد يحصل للكافرين
منها اعظم ما يحصل للمؤمنين واما ما يحصل لاهل التوحيد المخلصين
لله الذين فاعظم من ان يعبر عن كنهه مقال او يحصر تفصيله بال
وكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر ايمانه ولهذا قال بعض
السلف يا ابن آدم لقد يورك لك في حاجة اكثرت فيها من عبادي
سيدك وقال بعض الشيوخ انه ليكون لي الحال او الحلاوة فادعوه
فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا احب معه
ان يحصل قضاء حاجتي خشية ان يصرف ذلك عني ذلك لان النفس
لا تريد الا حضها فاذا قضي انصرف وفي الاسرائيليات يا
ابن آدم اللذائح بيني وبينك والعافية مني وبينك فتشي وهذا
المعنى كثير وهو موجود مذوق محسوس لاهل الحس الباطن للمؤمن من
من باب الذوق والوجد لا يعرفه الا من كان له ذوق وحس ولفظ
الذوق وان كان قد يظن انه في الاصل مختص بذوق اللسان



ما استعمله في الادراك والسند دال على ان ذلك مستعمل في الاحساس بالملائم والمنافي
كما ان لفظ الاحساس معروف الاستعمال في ادراك الحواس الخمس الباطنة والباطنة
في اللغة فاصله الرؤية فاول ما احس منهم من احد والمقصود لفظ ذاق تعالى فاذا هذا
الله لباس الجوع والخوف فجعل الخوف واللوع مذوقا واضافهما الى اللباس ليعم
به لبس الجائع الخائف فشمله واحاط به احاطة اللباس بالابس بخلاف من كان
الالم يسوء جميع شاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى فاذاقها الله الالم
وقال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وقال تعالى وقوا مس سقر وقال لا يذوقون
فيها الموت وقال تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا وقال لذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم
الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ
الذوق في ادراك الملائم والمنافي الكثير وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وجد
حلاوة الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فاستعمال لفظ
حلاوة الايمان مع تقدم ذكر المحبوب وجود المؤمن
الذوق واصحابه فيه يتفاوتون فالذي يحصل لاهل الايمان عند تجريد التوحيد
في قلوبهم الى الله تعالى واخلاصهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء لله مخلصين
له الدين لا يحبون شيئا الا لله ولا يتوكلون الا عليه ولا يوالون الا فيه ولا يعادون
الا له ولا يسألون الا الله ولا يرجون الا اياه ولا يخافون الا اياه ويعبدونه و
يستعينونه له وبه بحيث يكونون عند الحق بالخلق وعند الخلق بالحق
قد فنيت عنهم ارادة ما سواه بارادته ومحبة ما سواه لمحبته وخوف ما سواه
خوفه ورجا ما سواه برجائه ودعا ما سواه بدعائه هو امر لا يعرفه بالذوق
والوجد الا من له نصيب ومما مع من الاولة منه نصيب وهذا هو حقيقة
الاسلام الذي بعث الله به الرسل وانزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي
يدور عليه رحاه والله سبحانه اعلم وبه التوفيق والعراق يعلمون يوم الخميس سادس
عشر شهر رجب من سنة اثنى وثلثين وسبعمائة اسم العراقي غفر ربه اللهم اسعد
الصعيف المفتقر الحفظ المسمى بسعد صحيح بن يوسف بن حجاج الدوسي
بن يمان مساور العامري سوى الوجهين الاخرين من احاديث المسلم المشهورة فانها
خط الفقير الى ربه الجليل سعد الحاج سهاك الرفاعي غفر الله له ولجميع المسلمين

سبحات الملك العظيم الذي اتوكلنا عليه
كفانا وان استلناه من فضله أعظم ما الذي
له الوجود بجوده علا واحسانا نور ابصار
الحيين بنور اليقين مشاهدوا انوار الهدايه
عيانا فهو الذي نصر أشياعهم وخذل
من الذل جماعهم يتقلبون من رحمه
فضله ورضوانا وتبدلوا بعد طيب المكاسب